مشروع التخرج

وزيز

مشي بخفة ووثب بحماس

www.wazizbooks.com

wazizbooks
wazizbooks
waziz.books

contact@wazizbooks.com

مشروع التخرج

رسوم الكتاب: رحمة نجم

تدقيق لغوي: أحمد مدره

إخراج فني: علي خلف

رقم الإيداع: ٢٠٢٤/٢٥٠٣٩

الترقيم الدولي: ٢-٠٠٣-٧٩٧٦-٩٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠٢٤

نُشر هذا الكتاب بدعم من الصندوق العربي للثقافة والفنون - آفاق

AFAC ARAB FUND FOR
ARTS AND CULTURE
الصندوق العربي
للثقافة والفنون

مشروع التخرج

~

حسين فوزي

☆الأوض الورانية☆

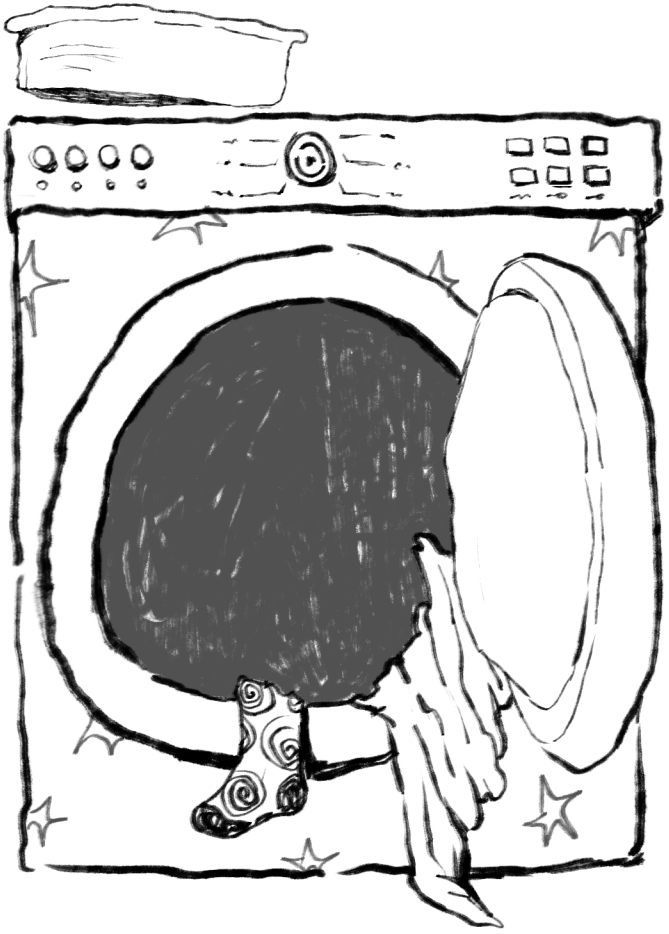

الأوض الورَّانية

يُقال إن العالم، الذي نعيش فيه، لم يُبرمَج تمامًا بعد، لذلك يعمل المبرمج الأعظم -طوال الوقت- على تنزيل التحديثات باستمرار كلما أمكن.

مثلًا، حينما تصطدم بالحائط، الطبيعي أن ترتد عنه. لكن حائطًا آخر، غير مكتمل الأكواد، تصطدم به فتخترقه، وبعيدًا عن الخريطة، تضيع في الفراغ.

البعض -مثلي- ينتبه إلى تلك الحواجز الممكنة الاختراق، كتجنب حائط يبدو داكنًا أكثر من الحوائط المحيطة به، أو باب تتيقن أنه ما من شيء وراءه، إن فتحته تلِج -بلا شعور- مكانًا لا يحق لك الوجود فيه.

لكن فاتورة ساذجة -مثلك- تتعامل مع الموضوع بكل براءة، دون دراية بما سينتج عن هذه الفعلة.

١

يحدث في مرة، وأنت منهمك في وضع ملابسك القذرة في الغسالة، أن تُشفَط -دون مقدمات- إلى الداخل.

الآن، أنت داخل متاهة من غرف مطلية بالأصفر، يغطيها موكيت أخضر قديم تفوح منه رائحة البرتقال. لا صوت غير أزيز مصابيح الفلورسنت بالسقف.

بينما تسير بين الغرف، تلاحظ أن كل غرفة تسلمك لأخرى تشبهها، لتعي بعدها مدى سعة حجم تلك المتاهة. تهلع وتركض إلى الأبد لتتأكد -بعدها- أن مدتك هنا قد تطول.

تصرخ: مفيش حد هنا؟

تجتمع موجات أزيز المصابيح بالأعلى لتشكل صوتًا موحدًا يجيبك: كنتَ هنا من قبل، ورأيتَ كل هذا سابقًا، كمِّل، لا أحد سيجدك، لا أحد، كمِّل.

تستمع إلى النصيحة كولد مطيع، وتستأنف الركض. تجد في ركن إحدى الغرف سريرًا هوائيًّا وزجاجات مياه بلاستيكية ومؤنًا في أكياس نايلون سوداء.

تروي عطشك وتتمدد للنوم، على أمل أن تستيقظ من الحلم.

عندما تفتح عينيك، يتبين لك باب أسانسير مغلق، منتصب في وسط الغرفة، معلق في الفراغ. تفتح الباب وتدخل.

لا حاجة إلى الضغط على أي زر. يتحرك الأسانسير،

ويُذاع في هواء الكابينة دعاء ركوب الدابة، بالصوت المُجهَد لإمام الدعاة على لحن كمنجة حزين.

٢

في البداية، لا ترى الفارق من ناحية توزيع الغرف جغرافيًّا، باستثناء أن الحوائط غدت مقشرة، والأرض إسمنتية.

نمتَ ثلاث مرات على مراتب أرضية وسخة تكتشفها بالمصادفة من حين إلى آخر. وما من مقياس تحسب على أساسه الزمن. في الواقع، أنت في يومك الخامس هنا.

والآن، تعرف أن عاملًا جديدًا يُضاف إلى موقفك: الخطر.

الأضواء ترتعش وتنطفئ، أحيانًا لدقائق، وأحيانًا أخرى لساعات. في تلك الفترة، تشرع الظلال في الاقتراب منك. الوسيلة الوحيدة لكي تعرف مدى قربها منك هو الصوت المبحوح لصرخاتها.

تحدد مصدر الصرخة، تسير في الاتجاه المعاكس ولا تنظر إلى الوراء.

بالبديهة، تعرف أنك إن لم تستطع اتباع الخطوات الثلاث السابقة، وغرقت في نوبة هلع تسحب كل تركيزك، فأنت منتهٍ.

وفقط، عندما تظن أن هذا هو البيت الجديد، وأنك علقت إلى الأبد داخل دوامة مسطحة من صرخات مبحوحة، وأصوات صرير الأبواب ومواتير المياه، التي تشكل البيئة الجديدة المحيطة بك، والتي منعك غياب النور عن رؤيتها، يعود الضوء، وتنسحب الظلال من حولك.

يقول الأزيز: شيء على غير ما يُرام؟ تائه؟ طبيعي. لكن لا تخف، فالهدف من كل ذلك أن يُختبَر خوفك، لا أن يُسمَح به كشعور.

تقول: وإيه اللي المفروض أعمله؟

فيرد: مهمتك أن تعرف.

تذوب الحوائط. تنسحب الأرض من أسفلك. أنت معلق. تبتعد كل الخصائص المحيطة بك نحو بؤرة مركزة ...

٣

... ثم تنفجر وتتبعثر الشظايا من حولك، لا تشكل كيانًا جديدًا، لكنها تائهة في الفضاء، حيث اختفى الحد الفاصل من تحتك الذي كنت تحدد على أساسه إن كنت تسير، أم ترتقي، أم تتهاوى.

من الأعلى هنا، السحب محيط آخر. تُقطِّعها شرائح مكونًا تماثيل مؤقتة، سرعان ما تبددها الريح.

وأنت لا تعرف إن كان يحق لك النحت في السحب أم لا.

ولكنك سعيد هنا، وسترتاح أكثر إن تجاهلت موجات الأثير الناقلة لمحطة إذاعة القرآن الكريم، والتي تنتشر من حولك.

تلعق سبابتك لتسهل عملية التصاق الموجة بإصبعك، ومن ثم إسكاتها. ولكن التردد يتبدل لتذيع أغاني طيور الجنة. وينقسم الأفق على طول الموجة، فيبدو المشهد من أمامك أشبه بخوخة.

لو لم ترَ ذلك لم تكن لتستطيع تخيله.

لا أزيز في الفراغ، ولا حوار. متحاشيًا الشظايا، تستكمل السباحة وسط محيط السحب. إلى أن يطوقك مليار نجم، وبينها، تطفو جواربك المفقودة في صحراء شاسعة من حولك تفتقر إلى الأرض والرمال.

ومن حولك، كائنات منزوعة الأعين، بالإضافة إلى شخصيات كارتونية، اعتدتَ متابعتها في طفولتك، تقفز من نجمة إلى أخرى، فتشاركها القفز.

كانت النجوم تلمع مع كل قفزة.

تخبط في آدمي بثلاث أرجل، وأربع أقدام. تعتذر. يستغربك ويسألك: ماذا تفعل هنا؟

قلت: معنديش فكرة، يمكن وقعت.

قال: أنتَ جليتش. ارتطمت بحائط أم فتحت بابًا؟

قلت: سحبتني غسالة.

قال: نادر الحدوث! مؤكد أنك واحد من مليون.

قلت: شكرًا. ممكن تقول لي أرجع إزاي؟

قال: استكمل القفز حتى تصل إلى بوابة الخروج، ستجد عندها أداة الانتقال، التي -في حالتك- ستكون الغسالة، ادخلها وعُدْ.

كررت: شكرًا.

وبعد النجمة المليار والألف والواحد بعد المئة، تكتشف بابًا بلا قبل ولا بعد، كُتِب أعلاه بالنيون الأحمر: *EXIT*.

في الداخل، تجد كل الشاشات التي مرت عليك -ولو لمرة واحدة- في حياتك، تعرض كل المواقف المحرجة التي تعرضت لها، مثل انتحار صديق لك ودعته توًّا، ألقى بنفسه أمام قطار المترو.

أشحتَ بوجهك بعيدا.

قال الأزيز: هنا، كل ذكرى سيئة دفنتها.

قلت: آه، خدت بالي.

تسير نحو الجهة الأخرى من الغرفة، حيث تقبع الغسالة.

تتساءل: المفروض إن فيه درس مستفاد؟!

يضيع صوتك، بينما الشاشات من الجانب الآخر لا تزال تعمل، توش الصور وتنحَلُّ الذكريات وتتبدل في كل شاشة على حدة. لا إجابة.

يتعطل تلفزيون أفكارك، لأن الموقف لم يُبرمَج بعد.

تفتح باب الغسالة، تُشغِّلها، تبدأ الحلة في الدوران، فتدفن نفسك بداخلها.

نصائح لتجنب مخاطر الأوض الورَّانية

* تجنَّب دخول مكان غير مألوف بالنسبة إليك دون وجود بشر آخرين على مرمى بصرك.

* إن وجدت نفسك في مكان يعلو فيه أزيز المصابيح، اتبع البروتكول الثلاثي: حدد المصدر، سر في الاتجاه المعاكس، لا تنظر إلى الخلف.

* إذا مررت بتجربة مع الأوض -وهو ما حدث الآن- فاعلم بإمكانية تكرار التجربة غالبًا، لذلك احذر من الأماكن التي تضع نفسك فيها حتى تبتعد عن وسائل الانتقال على قدر استطاعتك.

* إن لم تنجح الوسائل السابقة، ولم ترَ إشارات الانتقال، فتجنب الشعور بالوحدة أو الكرب، فالوحدة تغذي الفضاء غير المبرمج والمكون من الجليتشات، التي تتشكل منها الأوض، لأنك، بعد أن تهلع وتفكر في السير عكس الاتجاه، ستكون قد حُشِرتَ بالفعل، حتى إن لم تدرِ.

* حاول أن تتعامل مع مشاعرك السلبية -إن وُجِدت- على نحو مجرد يُفقِدها أهميتها ومعناها.

وفي النهاية، تذكَّر عزيزي القارئ: الاكتئاب مجرد تصور اجتماعي.

وداع الأوجه

وداع الأوجه

ليس مجازًا شعريًّا

الكل هنا يدخن سجائر اللف. مقابل اتشاحهم من البرد بالكوفيات وموديلات زارا، بدا تافهًا ببنطلون بويفريند وهودي أبيض. مقابل وجوههم التي شكلت خرائط ممتلئة المعالم، بدا وجهه نضرًا زيادة عن اللزوم، بلا تفاصيل.

بعد انتهاء الندوة، سلم على كل من قُدِّم إليهم ليلتها. قرأ لمعظمهم وسمع عنهم جميعًا في السابق، وتأتي مقابلتهم لتُزوِّج الأوجه بالأسماء. وصلت سيارة أوبر، فركبها وانطلق نحو شارع ٩، إلى أقرب محطة مترو.

سأله السائق: ممكن بس لو حضرتك تتابع معايا الطريق علشان أنا ما أعرفش أي حاجة عن المعادي؟

أجابه بابتسامة: لأ .. الأفضل تمشي على اللوكيشن. ما تقلقش دا نفس المكان اللي جيت منه.

كانت السيارة المطوقة بالأشجار العالية والمتريضين بالكلاب تسير ببطء في الشوارع الضيقة. أسند رأسه إلى الزجاج وهو يستعيد كل المناقشات الـ«سوفستيكيتد»

التي دخل فيها ليلتها. كشطت الصدأ عن مناطق في ذهنه نسي وجودها أساسًا.

وعد السائق بتقييم من خمس نجوم. شكره وخرج. قطع تذكرة ثلاث مناطق. سينتقل من جنوب القاهرة إلى شمالها في شبرا الخيمة، ومن هناك، يأخذ المواصلة التي ستعيده إلى المنزل.

كان قطار المترو قديمًا بمقاعد متقابلة، ونوافذ مُستَّرة بستائر خشبية متآكلة تُسحَب إلى أسفل. طوال الطريق، كان يستمع على الرِّيبيت لأغنية «هوت نيجا» لبوبي شيموردا، وفي كل مرة، لم يستطع التحكم في رأسه ومنعه عن خبط الهواء عندما يقول: *Mitch caught a body about a week ago*. هي الجملة ذاتها التي استُخدِمت ضده في محاكمته التي انتهت بقضائه سبع سنوات في الحبس بتهمة الحيازة غير القانونية للسلاح، واستُخدِمت الأغنية كاعتراف بالتآمر على القتل والاتِّجار في المخدرات ضد آخرين من عصابته *GS9*.

عندما انتهى من الرقص على دليل الإدانة، فتح عينيه ليجد الوجوه الغلبانة، المركبة على أجسام دحداحة، تنظر إليه في استغراب من اندماجه الفائق الحد في الرقص برأسه وهو يطوحه في الاتجاهات الأربعة. مُحرَجًا، نقل نظره إلى الخارج ليجد أنه وصل إلى محطة رمسيس.

أخذ عدته وهرول ليغير مساره من المرج إلى شبرا.

نزل إلى الشارع في محطة كلية الزراعة. أخبره تطبيق سويڤل أن الحافلة تبعد عنه بعشر دقائق. ضاعت دقائق الانتظار في متابعة شجار بين زوجين إفريقيين بلغة غريبة عليه، بدت غير أرضية، كتعويذات سحرية. فصل بينهما مخبر طلب إثبات شخصية من الولد الذي امتلأ وجهه بخربشات من أظافر الفتاة التي انتهزت فرصة انشغاله وركضت بعيدًا.

جلس بجوار النافذة في العربة. أخرج موبايله من جيبه. أرسل طلبات الصداقة إلى كل معارفه الجدد، ووافق على طلبات من أرسلوا إليه على فيسبوك. قلَّب في الرسائل حتى توقف عند فتاة تُحدِّثه على نحو شبه يومي، كانت رسالتها تقول: أخبار القمر إيه؟

كان الرابط بينهما واهيًا، وعدَّها على قدر ضخم من السذاجة واصطناع الرقة. لكنه، اليوم، اكتفى من المحادثات الذكية، فسلَّى نفسه لبعض الوقت بمشاركاتها له بصورها المفلترة، وأظافرها المعمولة حديثًا، والبوت الذي طلبته أونلاين ووصلها ذلك النهار. كان مستحيلًا أن يحبها. مذعورًا من جرح مشاعرها، أمسك نفسه عن التمادي. مخافة أن تتطور اللعبة بينهما إلى شيء أكبر،

أخذ يبني حوائط الصد. عندما بدأت تتحدث عن دراما أصدقائها وزحمة أفكارها، عوضًا عن ممارسة النفاق الذي أجاده كنوع من التأقلم الاجتماعي، لم يلبس قناع المهتم سائلاً عن مزيد من التفاصيل، بل رد: ربنا يولي من يصلح. ثم أغلق داتا موبايله.

بدأ يقرأ على ضوء باهت نسخة مترجمة حديثًا من «نيران شاحبة». لكن نظره راح يجري على الكلمات دون استيعاب ولا فهم جراء جرعات الاسبرسو المتلاحقة التي عبَّها. ظل مخه يقظًا إلى الدرجة التي لا تتيح له القدرة على التركيز.

أعاد الكتاب إلى حقيبته، ووضع سماعتيه، واشتغلت على الشافل أغنيات متنوعة موسيقيًّا، بين تيارات الروك البديلة، والبوست بانك، والهيب هوب. أخذ يعيد أغنية «باوند ٢» لكانييه ويست التي وافقت المود. يبدأ بجانب بذيء وشهواني من الحب في القيرس الثاني والأخير من الأغنية: نفسي أنكحك جامد على الحوض، بعدها ممكن نروح نجيب حاجة نشربها. ثم بعد كثير من الكلمات التي نزلت على أذنيه كماء مثلج، ينتهي في مزيج وصل إليه من الزهق والتطهير: إحنا الجوز تعبنا، وچيسَس بيعيط على حالنا.

اعتاد دائمًا ترجمة كلمات الأغاني بتلك الطريقة

في وعيه، باعتبارها نكتة باطنية، لا تخص أحدًا سواه. ولكن، لِمَ استخدم كلمة «نكح» تحديدًا؟

مع ترددات الأغاني المنتقلة عبر موصلات السماعتين، انشغل في مراقبة الطريق الذي يتراجع إلى الخلف بينما هو يتقدم للأمام دون حركة. كان يدخل في أحلام تستمر لساعات بينما في الوقت الواقعي تكافئ رفة جفن. يبدأ الحلم دومًا بأنه في قطار العواصم، يسافر دون وجهة محددة وقد استنزفته المناقشات الصاخبة مع مجاوريه من الركاب. يحاول أن يقبض على الحلم بتفاصيل صغيرة حتى تنفلت منه.

شكَّل زجاج النافذة، الذي أراح رأسه عليه، إيقاعًا ثابتًا من اهتزازات على خده المُتورِّد، وأخذت الخطوط البيضاء على الإسفلت تلتحم مع سرعة الطريق. اتحدت الألوان المنعكسة على الزجاج مع الأنوار المتربة للمحلات بعضها مع بعض. تكتلت كل معالم الطريق وانطوت على نفسها كما طوى هو النيران الشاحبة منذ قليل. وفي الخلفية، تناهت إلى سمعه الأصوات المجردة للخناقة الإفريقية التي شهدها قبل وصول الحافلة على هيئة منطوقات عديمة الشكل والمعنى، تمامًا مثل افتقار ذاته إلى التكوين والصياغة. ورغم ذهنه النشط إلى حد التوتر، كان بدنه متعبًا، فعجز عن مقاومة الذكرى التي ضربته دون أي مثيرات مباشرة.

حفرة خلَّفَها القمر

قبِل دعوة مودي فهمي إلى قضاء ليلة في بيت خاله الخاوي الواقع وسط مزارع الإبراهيمية على ضواحي الزقازيق. كانوا يفصلهم أسبوع عن بداية سنتهم الدراسية الأولى في الجامعة. وداع للاضطرابات الهرمونية وترحيب بفترة جديدة ظناها حافلة بالنضج وتحمُّل المسؤولية في تحول عنيف غير ممهد.

كان جالسًا على كنبة متهالكة ومريحة يتابع شريط زفاف قديم وجدوه وسط أكوام التراب في وسع البيت، يشاهده بنصف خلايا مخه التي لا تزال شغالة بعد تلف النصف الآخر، بينما البقية دخلوا في محادثات طويلة عن تريكَّات «ليج أوف ليچيندز» ومسلسلات الأنمي المفضلة لهم. في الخلفية، صوت مولد الكهرباء وطنين الناموس يمزقان صمت ليل المزارع.

انتصب مودي، فرك لسعة حشرة على ظهر كفه وقال له: أدهم، ما تيجي نطلع نتمشى شوية نشوف فيه حد فاتح ولا لأ علشان محتاج سجاير ونشتري أزايز ميَّه.

أنارا الطريق بكشاف الموبايل، فما من فوتون ضوء بالخارج، والشوارع طينية غير مسفلتة. كان يفكر، وهما يتمشيان وملح عرقه يحرق عينيه، في أغنية كانييه ويست التي ستشتغل، بالمصادفة، في أثناء عودته من

ندوة مزدحمة ستُقام في المعادي بعد ثلاث سنوات. اللحن، المُسَمبَل من أغنية بوب خمسيناتي، يتردد في دماغه وهو يترجم الكلمات: نفسي أنكحك جامد على الحوض، بعدها ممكن نروح نجيب حاجة نشربها.

بدت كلمة «نكح» موافقة تمامًا لوقعها الإنجليزي، عملية ميكانيكية تفتقر إلى الحب والشِّعر. لكن النكح لا يشتمل -بالنسبة إليه- على المتعة، بل على العكس، تُعَدُّ المتعة في تلك الحالة شرًّا ودنسًا، وهو المناقض لكلمة «*Fuck*» العاكسة لشهوة غرضها الوحيد هو الاستمتاع. فكر في استبدال النكح بالنيك، لكن الثانية يميل وقعها إلى الاستخفاف أكثر من أي شيء آخر. قال لنفسه: طب إيه رأيك نخليها أريد أن تبًّا لكِ بقوة على الحوض؟ لم يستطع مغالبة نفسه، وانفلتت منه ضحكة.

علامَ تشغيل الدماغ والمجهود أصلاً؟! عرف الأغنية، للمرة الأولى، قبل امتحانات ٣ ثانوي بفترة بسيطة، عن طريق قناة *One Music* اللبنانية، التي عرضت ڤيديو الأغنية الفاحش دون قطع ولا تشويش. ترك وقتها كتبه ومذاكرته وسُحِل مع الڤيديو. سيئ جدًّا إلى درجة أنه حلو.

الفكرة بسيطة: كانييه على موتوسيكل، الكاميرا تصوره من جانبه الأيسر، بينما في الخلفية استخدام مبتذل

للجرين اسكرين يحاكي أفلام الخيال العلمي، السبعيناتي، الرخيصة، تعرض كثبانًا وأراضي خضراء ومناظر طبيعية شديدة العمومية. ثم، دون مقدمات، نرى كيم كارديشيان، بجسمها البلاستيكي، جالسة أمامه. وجهان متلاصقان، وشعرها يتطاير باتجاه يستحيل فيزيائيًّا أن يتحرك فيه الهواء.

طوال تلك الفترة إذن ضيَّع وقته يحاول إضفاء المعاني على أنشودة حب لكيم كارداشيان. لكن، أليس ذلك هو أم الوجودية التي قرأ عنها منذ سنين في كتاب لهايديجر لم يعد إليه قط من بعدها؟ القلق الفلسفي من العدم الذي ينتج عنه هوس مُلح بإضفاء المعاني على كل شيء.

قطع مودي شريط أفكاره: إنت عارف إن المكان دا مليان إخوان؟

هزأ ورد: أنا ما شُفتش جنس مخلوق هنا غيرنا علشان أقول إنه إخوان.

تدريجيًّا، أخذت الطريق الطينية في الارتفاع، وتحول الطين إلى رمل، بينما البيوت الخشبية على جانبي سيرهما لا تزال عند المستوى الأصلي الذي ارتفعا عنه. كل شيء جاوزه الزمن هنا، محاكاة شرقاوية لطائفة آميش.

شعر بنغزة قوية في صدره عندما قال الآخر: من كام يوم كنت في كافيه جاليري مع الشباب وقابلت حور،

قالت لنا إنكم سبتوا بعض برغم إنكم كنتم قريبين جدًّا يوم حفلة الساقية، إيه اللي حصل؟

ومضت في خياله صورة خاطفة: الماسكرا تسيح على وجهها من البكاء، وجبهتها مغطاة بشظايا زجاجية، فمثل رقصته المستقبلية بخبط الرأس في الهواء، كانت تضرب وجهها بعنف في زجاج الطاولة.

عرف لماذا أخبرته بأمر انفصالهما، ولِذاته المتضخمة لم يكن ليعطيها ما تريد، لذلك حافظ على حياد ملامحه في العتمة: الطرق اتفرقت، الشخصيات اتغيرت، مرحلة وخلصت مش أكتر.

ابتسم مودي ابتسامة بدت مريبة جدًّا في ضوء كشاف الموبايل: أنا هنا لو إنت حابب تتكلم في أي وقت. التوَت مشاعره ناحيتها إلى سخرية ثقيلة الدم احتفظ بها لنفسه. كتم غيظه المباغت وركل حجرًا إلى الأمام، فتدحرج عائدًا على المنحدر إلى أسفل، عندما رأى بقعة ضوئية قوية شكلت مستطيلًا على الأرض خارجة من مستودع على مستوى البيوت نفسه، التي كونت حزامًا طويلًا لا ينتهي على الطريق من الصفين. ألقى مودي السلام، وطلب من البائع، الذي لم يتبينا منه حتى الآن سوى ظهره، علبتي مارلبورو وخمس زجاجات مياه من فئة اللتر ونصف. رد من في الداخل بلكنة ثقيلة أنه ما من

أحد يدخن المارلبورو هنا: مفيش غير كليوباترا، تمشي معاك؟ رد مودي: عادي قشطة.

رأى أدهم السحنة بوضوح عندما التفت البائع، مع أن الضوء يأتي من خلفه. وجه سمين ضخم امتلأ بحفر متسعة تبقبق منها سوائل شفافة، وطيات من السمن أخفت العنق، وتجاويف فارغة مكان العينين. لم يكن دخانًا ما صدر من فم وجه البائع المشوه عندما أطلق صرخته الحادة، بل تمثيل حقيقي لموجات الصوت. منتهزًا الفرصة المتزامنة مع رغبته المفاجئة والملحة في الرحيل، امتطى أدهم شريط الصوت مروضًا أمواجه إلى أن امتدت على هيئة خط معتدل. لم يعرف الصوت السير المعوج ولا الانحراف، فطريقه مستقيمة ومستمرة. كان يقابل الحوائط أحيانًا، فيعلو الصوت تلقائيًّا، تتضخَّم الموجة فتكسر السدود والحواجز، أو ينخفض الصوت ويهدأ عندما يحتاج إلى عبور كوالين الأبواب. هكذا كانت رحلة عودته إلى البيت، تاركًا خلفه مودي الذي تساءل إلى أين ذهب صديقه الذي ابتعد عنه ببصره للحظة ليعود ويكتشف أنه ذاب في الهواء الطلق، دون وداع لشلته في البيت المهجور وسط المزارع، دون موسيقى خلفية في ذهنه. رماه الصوت على السرير في غرفته وانسحب.

في الصباح، استيقظ على صداع مميت، وعندما فتح عينيه، انزلق ألمه عليهما.

محاورة

أنزله سويڤل في مكان يبعد عن بيته مسافة ثلث ساعة سيرًا. أخبره جوجل أسيستانت بانتصاف الليل، ثم ماتت بطارية موبايله وانغلق. كان لا يزال يلوك ذكرى امتطاء شريط الصوت. عندما وصل إلى الطرف الأخير من حبل ماضيه، شعر بتسارع مميت لضربات قلبه بلا قدرة على التنفس. انحنى واضعًا يده على صدره محاولًا تنظيم إيقاع دخول الهواء وخروجه، شهيق .. زفير، ١ .. ٢، شهيق .. زفير، ١ .. ٢. هبَّت رائحة جوارب عرقانة، وسمع صوتًا خشنًا: إنت كويس؟ رد وهو لا يزال منحنيًا رغم انضباط إيقاع تنفسه: التغيرات المناخية المفاجئة بتدمر نظامك التنفسي، التدخين كمان ما بيساعدش.

اعتدل في وقفته بعد أن هدأت نبضاته، وتلفت حوله ليشكر الشبح اللطيف على اهتمامه، فلم يجد أحدًا، فقط الهواء يصطدم بجنبات الشارع محدثًا قنابل سمعية خرقت أذنيه.

استكمل السير حتى وصل إلى محيط جامعته. الشوارع عظام إسمنتية. خراسانات وكباري، بلا هيئة. أراد كثيرًا أن يكتب عن الزقازيق، لكنه عجز بسبب افتقار الموجودات هنا إلى التاريخ، فمحلات المطاعم والكافيهات هنا تنفتح لأشهر ثم تعلن إفلاسها وتُهجَر،

لتفتح أماكنها مطاعم وكافيهات أخرى. لا ذكريات لتُثبَّت فيها، كما أن طفولته كلها اختُزِلت في بيت بِيعَ منذ زمن بمال لا قيمة له الآن بعد التعويم. لا محفزات للحنين هنا. سيطرت عليه زرقة وحزن، لا يرتقيان إلى الكآبة، بسبب مصابيح المساء العالية، بل كانا أقرب إلى الشعور السخامي الذي فرَّغه في مستهلات مراهقته بكتابة قصائد يشعر بالكسوف كلما عاد إلى قراءتها.

تذكر أن فلوسه أوشكت على النفاد، فاقترب من ماكينة السحب الموجودة بجوار بوابة كلية الآداب، والتي تنشر لمعات خضراء مبهرة. وضع الكارت الذي يُحوَّل عليه مصروفه الشهري، فهو لا يزال، رغم كل شيء، طفلًا وعالة، بقدرة منعدمة على تحمل مسؤولية نفقاته. بمجرد أن خرجت الأوراق من فئة المئات، سمع صوت صرير ينبعث من هيكل سيارة خلفه، ثم اصطدامًا مدمرًا.

نظر خلفه، لا أثر. حدق بقوة، حتى رأى كيانًا ضخمًا، لا يتبين منه رأسًا ولا رقبة، حتى إن جذعه اخترق طبقات الغلاف الجوي. بدأ الكيان يتحرك نحوه، ببطء. منعه الخوف من الهرب، فتسمرت قدماه وهو يرى الكيان يقترب شيئًا فشيئًا وقد خلقت خطواته دويًّا. بدا الأسفلت يذوب من تحته. وقف أمامه بالضبط، وهو بالكاد يطول حِجره. مد إليه كفه التي وسعت كل شيء حي وقال من أعلى السحب: أنا ملاك، كنت جاي هنا بجمع

حساب كام حد واتأخرت ففاتتني المواصلات للجنة، قُل لي يا دودو.

سلَّم له يده، التي ثقلت بالنسبة إلى ضخامته مثقال ذرة، وصرخ حتى يصله صوته: وأنا أدهم حمدي.

استمر الملاك يضم يده ويرخيها بلين كما لو أنه يحاول الاحتفاظ بحفنة من الرمال في كفه: أنا عارف. صدفة غريبة حصلت واترفع عنك الحجاب، علشان كدا إنت قادر تتواصل معايا، ودا من حسن حظي طبعًا لأني مش مستحمل أفضل لوحدي وملايكة الوردية الليلية لسة ما جاتش حتى.

هز رأسه في سكوت، فاستأنف الملاك: الأفضل تتكلم معايا في ميجافون علشان زورك ما يتعبكش. فتح حقيبته، التي تشبه حقائب جُباة الضرائب ومحصلي الوصولات، المثبتة عند وسطه، وأخرج منها مكبر الصوت، وأعطاه له بيده الفارغة دون أن يفلت الأخرى: خليك ماسك في إيدي لأنك صغير أوي وأخاف أدوس عليك من غير قصد.

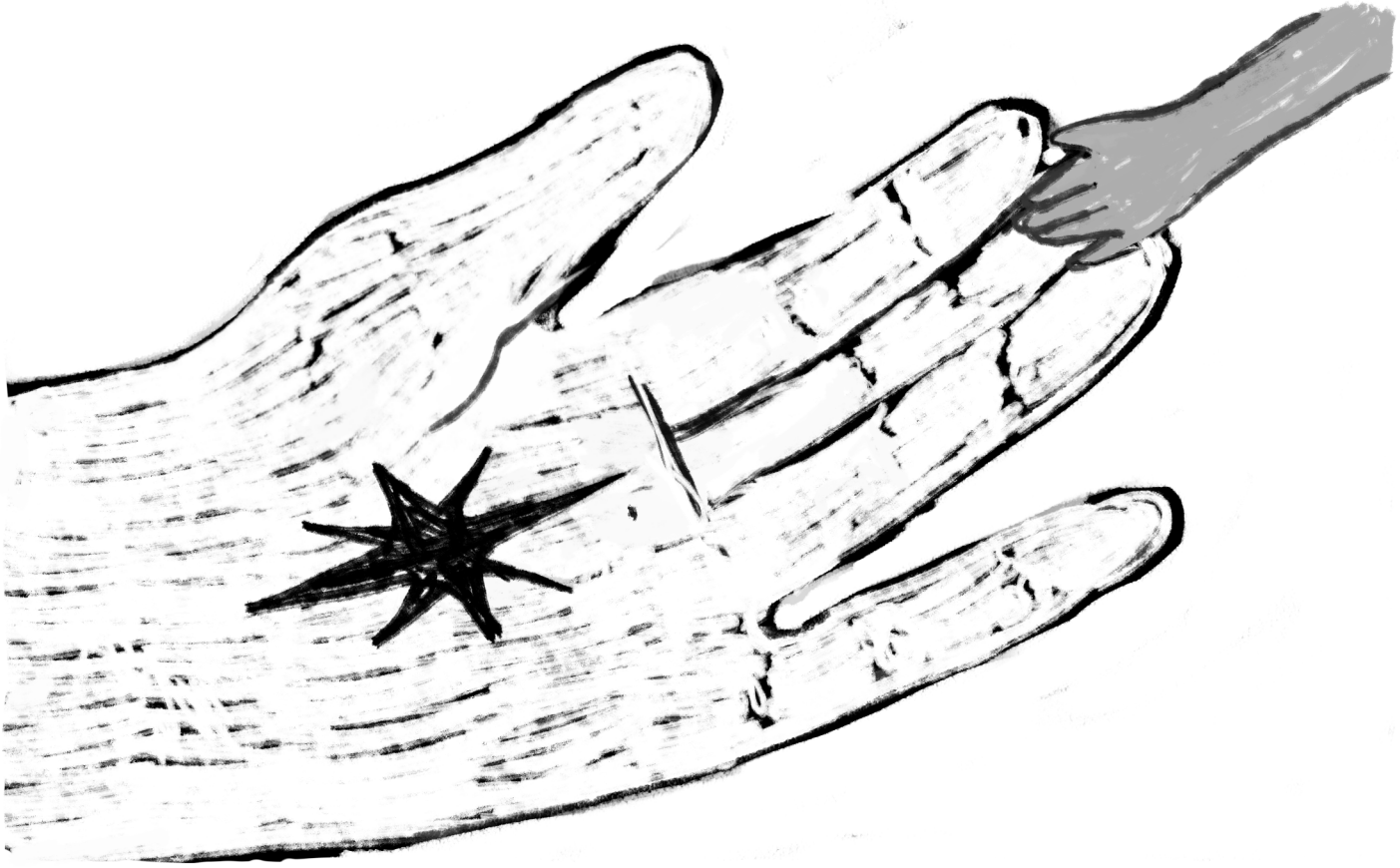

فرغت جميع الطرقات، الأمر الذي رآه أدهم غريبًا ولم يعهده في مدينة ضيقة ومزدحمة السكان كتلك. نفخ أدهم بخار فمه: الجو برد أوي، مفيش في إيدك حاجة تعملها؟

رد الملاك: برَّه عني. معلش، كل اللي أقدر أعمله إني أنصحك تفتكر تتقِّل المرة الجاية، الهودي لوحده على اللحم عمره ما يدفي كفاية.

مكسوفًا، قال أدهم: أنا آسف إني بشتكي لك، إنت أكيد فيك اللي مكفيك.

تمشَّيا دون كلام في الطريق إلى منزله. بدا الصمت أوكوارد. تاق بقوة إلى التدخين، ولكنه شعر أن شرب سيجارة أمام الملاك ستُعَدُّ قلة أدب منه. بدَّد الفكرة عن رأسه ونفَّس: لما البيت بيكون فاضي عليا بحس إني شيزوفرينيك، بسمع صوت طقطقة رجل أختي على خشب الباركيه.

قال الملاك: بس قاعدة بياناتك بتقول إن معندكش إخوات بنات!

رد عليه: بالظبط، لكن الخيالات دي بتكون قوية ومش جاية من جوايا، فاهم حاجة؟ الأصوات بتكون واضحة لما بتيجي في الضلمة وأنا بحاول أنام تسألني يومي كان عامل إزاي وإذا كنت اتبسطت أو لأ. ساعتها بنوَّر أنوار البيت كلها وبشغل أغاني على أعلى صوت وأشوف

حد أكلمه لحد ما أروح في النوم. تنهد واستأنف: علشان كدا ما عُدتش طايق البيت خالص الفترة دي لأنه فاضي والكل مشغول. ثم حاول تبديد الكآبة: بس بمناسبة الخوف، هي الملايكة عندها مشاعر؟

أجابه دودو الملاك: آه طبعًا، لكن أغلبها بيتمحور حوالين الأسى وخيبة الأمل، فبنقضي وقت فراغنا كله نتعبِّد لأننا ما نعرفش حاجة عن الحب، ولا حتى عن الجنس. بعد ما الواحد منا بيتخلق، بيعدِّي على مكنة بتخيط ما بين فخاده، فبنتكاثر ذاتيًّا.

قال الآدمي في الميجافون: كنت فاكر إنكم مجبولين على الطاعة.

رد: لأ، إحنا عندنا حرية إرادة لأننا برَّه الزمن.

استفسر في براءة الهُبل: وإحنا أكيد أحرار برضه؟!

أجابه: إطلاقًا، كل نقطة بتعدي عليها بتمشي بالتوازي مع نقطة تانية على خط الزمن، كل الأحداث بتزامن بعضها ومفيش حاجة بتسبق حاجة، أنا حتى لسه إمبارح كان عندي مأمورية في ٢٦٦٦.

سأل: والدنيا اختلفت لأنهي درجة؟

قال: ولا أي حاجة، مفيش اختلافات جنونية، ما عملوش عربيات بتطير. الزمن دا مجرد لعبة، أنا ممكن أجيبهولك دلوقت أفرَّجك عليه شوية.

وبالفعل، جرَّد المكان من الزمان، فثبتت الأبخرة في الجو وتجمدت ذرات التراب في الطقس. شكَّل من الزمن زوحليقة عزم أدهم على التزحلق عليها. مسَّد الملاك على خط الزمن، روَّضه، مارس به ألعابًا بهلوانية متمرسة في فرح ومرح.

فرغ من الزحلقة أسفل العمارة التي بها منزله: أنا حقيقي مبسوط بالصدفة السعيدة دي. دلوقت أنا هطلع أطبع شوية ورق وآخد دش سخن وأغير هدومي، وأسيب موبايلي يشحن شوية. بعدها هعدي على ناس صحابي بيلعبوا «ليج أوف ليچيندز» في سايبر ستار، ٣ دقايق من هنا، هروح آخدهم علشان نذاكر شوية لحد الصبح. يومي هيكون طويل بكرة، عندي كويز وتسليمات ومحاضرة ومعمل، والبيت مكان مرعب بالنسبة لي على إني أعمل فيه أي حاجة. ثم أخيرًا قال مودعًا: آسف إني مش هقدر أعزمك على حاجة تشربها، بس بيتنا أضيق من إن تخشه ملايكة، وحتى لو كان سقفه عالي كفاية، الأسانسير مش هيقضيك.

لم يعقب الملاك، بل هام مبتعدًا. الآن وقد أولاه ظهره، بدا ما بان من كيانه يصغر كلما بعد. حاول اكتشاف تفاصيل جديدة فيه، لكنه كلما اكتشف ملمحًا جديدًا كان يمعن في الاختفاء، وقد أمطرت دموع دودو الملاك في محيط من حوله، شاطحًا بجذعه دون اهتمام، مكسرًا خصائص المدينة التي صنعها خيال الكاتب.

إن حدث ذلك في ماضٍ قريب لعدَّه إحدى هلوسات الزاناكس الذي اعتاد أن يداوي به اكتئابه المشخص ذاتيًا. لكن أيام التداوي بدت بعيدة جدًّا الآن، كحلم قطار العواصم وذكرى السهرة الإبراهيمية. ترك كل شيء طعمًا كالغثاء على طرف لسانه، إذ غدا البشر أزمنة.

عادي. رمى وراء ظهره وطلع.

استعادة ضبط المصنع

الحمد لله، وجد كانييه ويست الربَّ ورُمِّم عطب روحه. ساعده اكتشاف الرب وولادته من جديد -في تصريحاته على تويتر- على تهدئة نوبات غضبه التي يحفزها مرضه بالبايبولار. أصدر بعدها عدة ألبومات ذات طابع إنجيلي ملتزم ومتحفظ دون شتائم ولا تباهٍ بالممتلكات الدنيوية. التباهي ارتكز -في استحياء- على أنه أصبح بين اليدين الرحيمتين الناعمتين لچيسَس، الذي ولا بد أن دموع شحتفته من الحزن على حاله هو وكيم، التي انفصلت عن كانييه علانية، استحالت إلى دموع الفرح.

أيًّا كان، لم تمر الأمور جيدًا في الامتحان المصغر من مادة النمذجة والمحاكاة. مخه راح مع تفاصيل محاورته مع الملاك، محاولًا اكتشاف تفاصيل جديدة. في كل مرة، يحاول أن يضيف التفاصيل الصغيرة الجديدة على الصورة

الكاملة، التي صنعتها قصة المقابلة، بلا نفع، فتتهاوى الذكرى بكُلِّيتها. أخذ يحاول مرة وراء مرة تشييد قصة كاملة لليوم ليجد شيئًا يحكي عنه مع أصحابه، إلى أن أعلن دكتور المادة انتهاء الوقت.

شعر بخواء وفراغ رهيبين يسحبان كل مسببات السعادة من خلايا جسده. رغب في حركة أو دراما. ذهب إلى المقهى بعد انتهاء اليوم الدراسي. فكر أن يكتب إلى ذات الأظافر والصور المفلترة بانتهاء ما بينهما بعد لعب طويل بقلبها، مثلما قال الرابر في تشبيه سهل وكسلان، كما لو أن مشاعرها بنك الحظ.

كتب إليها: أوكيه، أتمنى ما تاخديش اللي هقوله دا بشكل شخصي، بس أنا زهقت، ومفيش حاجات مشتركة بينا كتير، أنا تعبت من جو الإيموز اللي إنتي عايشة فيه والزمن تخطاه من ٢٠٠٧، ومن صور تقطيع الشرايين بالعرض اللي بتبعتيها لي كل كام يوم، ومن أغاني الشو-جيز البضان اللي إنتي مقتنعة إني بحبها أو حتى تصورك إن حبك للكاتب الياباني، اسمه إيه دا، هيقربك مني. أتمنى تتجاوزي كل مشاعرك ناحيتي. بالتوفيق في حياتك.

ارتسمت على وجهه ابتسامة منتظرًا ردها، لأنه يموت في رد الفعل. بعدها بعشر دقائق، كتبت: أدهم، يا حبيبي، ليه تعمل كدا وتخلي شكلك وحش؟ أنا كبيرة

كفاية لإني أكون مامتك. مين قال إن عندي مشاعر ليك؟ أنا أولريدي مصاحبة، وبكلمك لأن صاحبي عنده حاجات مهمة كتير في حياته ومش فاضي يمسك الموبايل، فإنت بتسليني وبتعرف تضحكني. كيوت بوي، إنت جبت منين التصور إني بائسة في حياتي لدرجة إني هحب طالب جامعي أصغر مني بسبع سنين.

بدا أن إهانة الرفض لا تكفي، وقد انقلبت النكتة عليه الآن، لأنها استكملت تعنيفها: أنا بجد محبطة، أنا كنت فاكرة إن الكتب وكل الهباب اللي في دماغك دا هيخليك شخص عاقل ويكبَّرك عن سنك، وبعدين الثقة دي كلها مش متناسبة خالص مع حد لسه بياخد مصروف. شكرًا إنك فكرتني بقد إيه الناس ممكن تكون مرعبة.

تناهى إلى سمعه، وهو يقرأ رسائلها، أصوات الكلمات الملغزة للشجار الإفريقي أمام محطة كلية الزراعة بشبرا الخيمة، كساوندتراك للحدث الافتراضي. ثم، بعد أن تأكدت من قراءته لرسائلها كلها، بلَّكتْه.

التزم بالنظر إلى الأرض، كأنه يبحث عن شيء ضائع تحته، عائدًا إلى المنزل سيرًا. بعدما وصل، وهو يفرغ حقيبته، وجد الميجافون الملائكي ملقى على المكتب. احتفظ به في الدرج على أمل أن يأتي دودو الملاك ويستعيده.

صدق حدسه، فبعدها بساعتين، أغلق عينيه المتعبتين من تتبع الأرقام والمعادلات، محاولًا رج شيزوفرينيته بعيدًا عن أحلامه، ثم فتحهما ليجد ملاك الأمس، لكن تلك المرة على أصغر. عرفه من تضاريس جذعه التي أخذ يُقلِّبها جيدًا في أفكاره طوال اليوم، وبان له أخيرًا وجهه، الذي استعار تقاطيعه من ملامح أدهم.

أخبره الملاك أنه قضى ليلة البارحة في حضرة أحد شيوخ الطرق في الإبراهيمية. كانت أمسية جميلة، ثم، في الصباح، انشغل بجمع الحسنات. أنهى عمله وقرر أن يأتي ليزوره ويسترجع مكبر الصوت، وربما يسهر معه بما إن البيت فاضي: بصراحة أنا حبيت الكلام معاك. ساعتها، شعر بالسعادة، كمداعبات الفوربلاي، تلمس فخذه دون ولوج، وقال بحنك فشَخه فرط الانبساط: نورتنا!

أشباح فرسيس

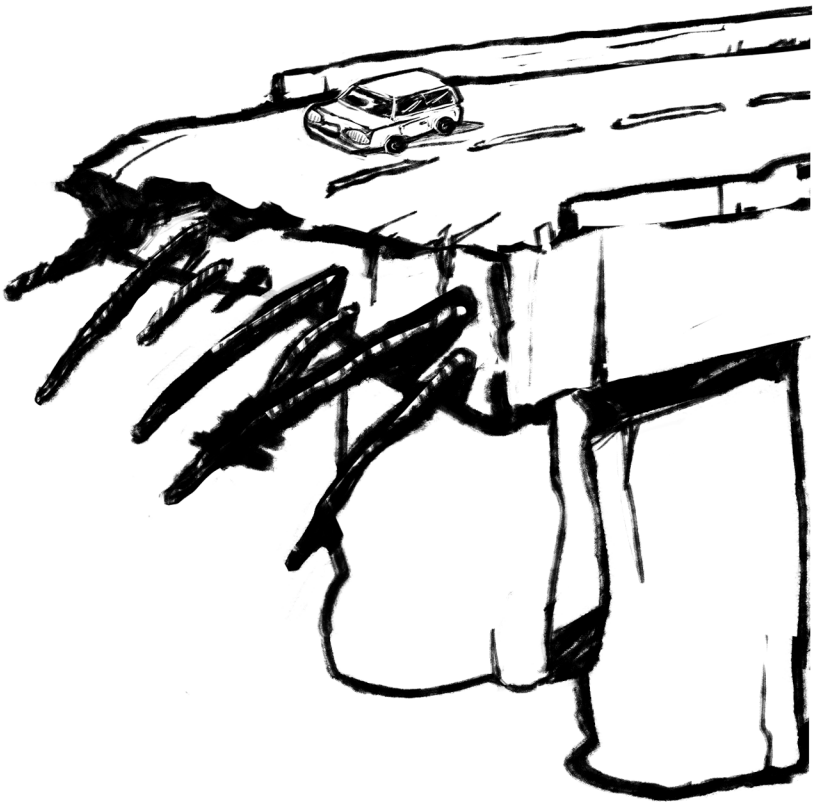

أشباح فرسيس

في المستشفى البيطري للقوات المسلحة، لفظ كلماته الأخيرة: غيَّر العالم، سينسورات التنشنة كويسة، لكنها أبدًا مش كفاية، وصيتي الأخيرة، السلام عليكم. ثم نفَق. ذرفت عيناي دمعتين: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هتوحشني يا أستاذ بطاوي. كأني في المشهد الختامي من فيلم تلفزيوني قديم، حيث تُباح العظة على هيئة آية قرآنية قبل نزول التتر، وبعد انتهاء التسلية.

~

أزيز تكييف السيارة مزَّع مخي نصفين. وصَّلت موبايلي بمشغل الأغاني، فذِيعت أنغام المهرجانات مبددة الزنة المستمرة بصخب الألحان.

كان لذكر البط، الجالس بجواري بينما أقود، رأس أخضر يلمع بالنهار، وجناحان ضعيفان، وريش بني رث، فخمنت، من وهن منظره، انقضاء موسم التزاوج. حاولت فتح حوار معه. قلت من وراء الكمامة: نتيجتي ظهرت من فترة، عديت صافي، لكن غالبًا نجَّحوا كل الناس لأن الترم التاني ما أخدناش فيه حاجة، وامتحاناتنا كانت أبحاث. حظر الكورونا بقى وكدا.

لف رأسه إليَّ الآن، بمنقار أصفر عارٍ – لم يصنعوا كمامات مناسبة لمناقير البط بعد، واستكملت: بس أنا برضه مبضون ومش عارف أنا بعمل إيه في هندسة، بس إيه البديل؟ ياسر عبد اللطيف قال لي إن آداب بقت كلها دقون ومقشات، وبعدين فكرت في الموضوع، ولقيت الحوار فكسان فعلًا، إنت متخيلني مثلًا يا أستاذ بطاوي بدرس لغة عربية وفقه؟

شخرت: وليه أضيع من عمري أربع سنين بدرس فلسفة مثلًا طالما ويكيبيديا موجود؟ وبعدين فكرت في سياسة واقتصاد، وأكمل في السلك الأكاديمي لحد ما آخد الدكتوراه، بس ما تحمستش، مجهود كبير لمجرد إن الناس تقول لي الدكتور راح .. الدكتور جيه، دلوقت هيقولوا لي الباشمهندس راح .. الباشمهندس جيه.

ونحن نتقدم على الطريق، انتشرت رائحة الجلَّة، تكاثفت حتى خنقت الجو، فرفعت الزجاج إلى أعلى. اطمأننت لخلو السكة قدامي، فالتفتُّ إليه في مزاح: اوعى تكون شخيت لي في العربية يا أستاذ بطاوي. بطبَط في خجل. مددت يدي لأفتح الدرج من أمامه، أخرجت منه معطر برائحة اللاڤندر، رششت رشتين، ثم أعدته مكانه، لكن البخاخ لم يُزِح الرائحة العفنة، بل امتزج بها، وعاثت الرائحة المُركَّبة في الأتموسفير.

ثم عدت لأعتذر من بطاوي على نكتتي التوكسيك، وطمأنته بمعرفتي أنه ليس مصدر الرائحة، بل هي النتانة الملتصقة بالطريق مهما حاولوا تجديدها بالإصلاحات والإنشاءات. وأنا عارف دا، لأني ...

~

... ارتحلت على الطريق نفسها، التي نتحرك عليها الآن نحو المغامرة التي تنتظرنا في فرسيس، مرات كثيرة متوجهًا إلى ريندا، في المنصورة.

عرفتها عبر جروب «نادي محبي السينما غير الناطقة بالإنجليزية» على فيسبوك. نشرت عليه بوستاتي الطويلة عن الموجات السينمائية في شرق أوروبا، والتي أحبَّها السينيفايلز -وأهمهم ريندا- بشدة.

أرسلت إليَّ على الـ*Others* رسالة إعجاب بمقالي عن «شعرية السينما: سيرجي باراجانوف نموذجًا»، ثم طال الحديث بيننا، مع إعجاب من ناحيتها، لم تملَّ من الإفصاح عنه، بسعة ثقافتي على صغر سني. كنت في الصف الأول الثانوي، وهي في السنة الإعدادية من فنون جميلة، قسم ديكور.

طال قُطر دائرة العشم والهزار بيننا. تبادلنا الأذواق الموسيقية، وترشيحات الكتب، أغلبها من سلسلة الفن السابع، التي سرقت بوستاتي السينمائية كلها منها.

دعتني إلى زيارتها في المنصورة لنقضي يومًا معًا. أخبرتها أني سأضع الأمر على قائمة أولوياتي بحلول إجازة الصيف.

انقضت الامتحانات وسافرت إليها، في سيارة بيچو سبعة راكب، جالسًا بجوار السائق، بثمن كرسيين. من المزارع، فاحت رائحة الجلَّة في رحلة الذهاب، ومن الترع، الكمكمة، وللكباري الجديدة رائحة خشب محروق. وصلت إلى موقف الأتوبيس الجديد في نحو ساعة، بفضل مجهودات الهيئة الهندسية، المتمثلة في كوبري سندوب، الذي سهَّل الدنيا كثيرًا وقتها.

قابلتني في الموقف بابتسامة، وشَعر فاحم مرفوع على شكل كعكة. جلست بجوارها على الكنبة الخلفية في التاكسي: هودِّيك أكتر مكان بحبه في المنصورة. عندما نزلنا بجوار مديرية الأمن، عرفت أن مأواها المفضل هو مقهى، كُتِب أعلى بابه على لوح زجاجي: كافيه أندريا.

كانت ترتدي تيشيرت نصف كم، أسود، يتوسطه مثلث بداخله علامة استفهام. حدَّثتها عن آخر أفلام شاهدتها، والباندات التي اكتشفتها حديثًا، وهي حدَّثتني عن تفضيلاتها في الموضة. ثم نضب معين الموضوعات. سرحتُ مع أصوات تبَّاعي السيرفيس الآتية من الخارج، وخبطات الدومينو على ألواح الخشب الآتية من الداخل. كانت المروحة تنشر صهدًا بالمكان في طقس منتصف الظهيرة.

بددت السكوت سائلة: هو إنت ليه ساكن مع عمك؟

بعد ولادتي بفترة قصيرة، تركت أمي أبي وسافرت إلى المغرب. يُقال إنها انتحرت. محسودة طول عمرها وعاشت تائهة، راكضة من كل مسؤولية على عاتقها بالهروب نحو بداية جديدة. المصير المنطقي لمن يهمل الرقية الشرعية وينكر أثر العين اللي ما تصلي على النبي، قالوا لي. وفي فضل الصلاة على النبي، كُتِب مئة وسبع وستون كتابًا، وغيرها كثير جدًّا.

أبي ضابط شرطة مستقيل، مقدم برامج على قناة رياضية، عمل مدرب حراس مرمى في أكثر من نادٍ، ويُدرِّب الآن في نادي الداخلية. زيجاته عدة، وعلاقتي به لم تكن جيدة قط. بعد خناقة مدوية مع آخر زوجة له حضرتُها في أثناء إقامتي معه، أرسلني لأعيش مع عمي.

عمي، محافظ الشرقية، مرت عليه ثلاث حركات انتقالات، وعلى وضعه، ظل ثابتًا. عندما اطمئن لاستقرار منصبه، انتقل مع زوجته نهائيًّا إلى الزقازيق، خصوصًا أن الشك ساورها كثيرًا بسبب إقاماته المطولة باستراحة المحافظة.

قلت لريندا، التي أسندت ذقنها بقفا يدها، وهي تتفرس فيَّ: البيت بالنسبة لي متاهة حرفيًّا.

حُرِما من نعمة الإنجاب، فأحبتني زوجة عمي كثيرًا، مختبرة مشاعر الأمومة للمرة الأولى في منتصف الخمسين من عمرها. منحتُها الونس وسط انهماك عمي -المحافظ التربو، كما سموه على صفحة «الشرقية توداي»- بالعمل لساعات وأيام طوال. منزلهما، الدافئ جدًّا، عبارة عن طابق كامل في عمارة الغُلمِي، بشقتين مفتوحتين إحداهما على الأخرى.

وحدة شديدة لم أزل أعيشها. فشلت كل المساعي في تكوين أصدقاء بمدرستي، فجميعهم عرفوا خلفيتي وأني من طرف المحافظ. حماني المدرسون، والأخصائيون النفسيون والاجتماعيون، والناظر، ومدير المبنى، ومدير المدرسة، والسيد مدير إدارة غرب، من أي شيء ومن كل شيء، خوفًا من أن يصيبني خدش من أي طالب زميل.

قلت لها: بس نحمد ربنا على الموجة الفرنسية الجديدة، لولاها كان زماني انتحرت.

~

حضنتْ، بكفها الناعمة، كفي العرقانة. ناولتني من علبتها، ماركة كينت، أول سيجارة شربتها في حياتي. علَّمتني أن الدخان يُسحَب إلى الداخل نحو الرئتين عدة ثوانٍ قبل نفخ الدخان المتبقي، وأن تنفيخه مباشرة هو هدر للمال.

كنت أعرف أن أباها بنى لأسرته، المكونة من ثلاثة أفراد، بيتًا من طابقين، على أن يكون الطابق الأول علوي هو البيت التي ستتزوج فيه، حتى لا تبتعد عنه وهي ابنته الوحيدة.

ولأنها حكت لي ذلك من قبل في محادثة سابقة على فيسبوك، اختصرت المسالك، وقالت لي مباشرة: ما تيجي في الدور التحتاني؟ البيت فاضي.

هناك، فعلنا كل شيء تقريبًا، ما عدا زفلطة القرموط. كانت مرتي الأولى. أمسكت بجسدي رعشة، وسخونة لاسعة انتشرت فيه. كانت الشقة خالية من أي أثاث. الحوائط صفراء، والأرضية من البلاط الموزايكو.

نزلت قبلي لتطمئن أن لا أحد في الشارع سيراني خارجًا، ثم أرسلت إليَّ على واتساب لتخبرني بخلو الجو. وصَّلتني حتى الموقف، وعلى غفلة من سائقي الميكروباصات، أعطتني قبلة على خدي، وقالت لي مودعة: خلينا نكررها تاني.

لم أرتدِ إلا تيشيرتات البولو، ذات الياقات، أيامًا عدة بعدها، لأخفي عضة الحب الوردية التي تركتها على رقبتي.

~

مع الوقت، ربطتنا أمور أخرى غير المدارس السينمائية ومقالاتي المسروقة. أذهب إليها مرتين أو

ثلاثًا في الأسبوع، في خروجات تستمر لساعات في كافيه أندريا. سُمِح لي أحيانًا بدخول النادي اليوناني تحت رعايتها. خلال قعداتنا، عرَّفتني على قطاع صغير من دائرتها.

أذكر لك منهم ثلاثة: العرص التخين، الذي -بالإضافة إلى كونه عرصًا وتخينًا- احترف شقْط القطقوطات المتمردات بالبِيز جيتار الموجود في غرفته. مودي دودي، مدمن بريجبالين ورابر، وصل عدد مستمعيه على ساوندكلاود إلى ألفين، وأشهر تراكاته اسمه ***ekt2ab***. فلاش، ***speedrunner*** معروف، ختم سوبرماريو في أربع دقائق وواحد وأربعين ثانية، ودارك سولز في عشرين دقيقة وعشرين ثانية، وهي أرقام قياسية لم يستطع أحد أن يكسرها من بعده، رفع علم مصر في مسابقات دولية كثيرة، من الإمارات إلى اليابان، وله بث حي أسبوعي على تويتش.

في جلسة التعريف، قدَّمتني إلى سبعة غيرهم. سيرك من الأسماء المستعارة. خطفت نظرة سريعة لأجدهم جميعًا بملابس سوداء، وعيون مكحلة، وأظافر سخامية. أنوف مثقوبة بالبيرسنج. حلقان تتدلى منها أشكال بلاستيكية تبرق. لا ينادي بعضهم على بعض إلا بيا برو. لم أستطع تبيُّن ملامحهم، لأني بالكاد استطعت رفع عينيَّ عن الأرض.

قلت متحاشيًا التواصل بالأعين: هاي يا جماعة، أنا بهاء. فسألني صوت ناعم: هاي يا بهاء، النِّك نيم بتاعك إيه؟ فاستوضحت: النِّيك إيه؟! ضجوا بالضحك، وتورد وجهي. ثم تجاوزوني وفتحوا موضوعات لا أعرف عنها شيئًا.

ومع أن الرابط، الذي يُوصِّل الأسماء بالوجوه، كان مقطوعًا عندي، ألفوني مع الوقت بكوني الواد الصغير صاحب ريندا. أغلبهم انتهى من تعليمه، وبعضهم في سنته الجامعية الأخيرة.

بدوت متوعكًا، فهمست لي: إنت كويس؟ أجبتها: مش متعود أتعامل مع الكم دا من البشر. فشخَّصتني: عندك *anxiety* يعني. فكرني المرة الجاية، عندي حاجة كويسة هتساعدك.

~

كان الزاناكس بالفعل جيدًا لحالتي. عظَّم من ثقتي بنفسي، وجعل التعامل مع الآخرين أكثر سلاسة ويسرًا. راكمت خبراتي الاجتماعية تحت تأثير الدواء الذي حيَّد مشاعري تمامًا، كأني أراقب كل موجودات أيامي من خلف لوح زجاجي في انفصال بارد.

وفي مرة، ارتسم على وجهي الملل، وأنا تحت التأثير، ومستريح في جلستي، فسحبتني معها بعيدًا عن الزحمة،

وخرجنا من الكافيه. قالت لي إن البيت فارغ لساعتين. كانت للشقة تلك المرة رائحة النفتالين، ومرتبة هوائية على الأرض في ركن غرفة من غرف الشقة الخمس. فكَّت شعرها، فوصل إلى نصف ظهرها، وفاح منه أريج حليبي. تمددت على المرتبة، واعتلتني. أخذت تـ«دراي هامب» بهيكلها على خرطومي الرخو قليلًا بسبب المهدئ، إلى أن قذفتُ أربع مكعبات ليجو بيضاء، التصقت بعانتي. وجعني نزعها.

ضبطتْ هندامها، وعدلتْ شعرها، وأخبرتْني بوجوب الرحيل سريعًا.

~

أقول لبطاوي، ونحن على الكوبري الجديد: ولحد دلوقت مفيش حاجة بتهيجني قد ريحة النفتالين، والموضوع دا بيحطني في مواقف محرجة كتير.

كدت أستعرض له أمثلة، عندما انطلقت منه زعقة بطوطية: كواك!

تبيَّن لي أن الكوبري غير مكتمل ومقطوع من المنتصف متحولًا إلى منَط. فرملت، وملنا إلى الأمام بفعل القصور الذاتي. توقفت السيارة قبل حافة الجرف بقليل. نزلت من السيارة وحدقت في الهوة – ساحة تخريد سيارات، مكتظة بشاحنات نقل. عدت إلى الوراء،

مارشدير، أخذت أول لفة قابلتني، نقلت السرعة ونزلت من على الكوبري. استأنفت القيادة على الطريق الزاحفة تحته، وأنا أرتعش. هبطت الشمس بلا أذان يعلن حلول موعد صلاة المغرب.

اكتشفت مجتمعًا آخر على فيسبوك بعيدًا عن مجتمع ريندا. عرفت أن زمن الـ*rage comics* قد ولَّى وحلت مكانها الميمز.

قررت المشاركة. نشرت الميمز الفلسفية على «كشك الفلسفة»، وسخرت من موسيقى الأندرجراوند، التي سأمتها، على صفحة «ذوقك الموسيقي خرا». استغل كيڤن كنافة الميمز كوسيلة للإجابة على سؤال: هو الإنسان لحمة ولا فراخ؟ كان ثمة أيضًا يان يانج الذي فرَّغ في ميمزه قرفه من المنتحرين ومخاوفه من النيوليبرالية التي قسمت الانجذاب الجنسي إلى مئتي نوع.

ثم في يوم، بالمصادفة، قرأت خبر انتحار شاب يلقي بنفسه أمام قطار المترو في محطة السادات. ومن النعايا التي ملأت النيوزفيد عندي، أدركت أن الشاب هو ذاته يان يانج. رغم سطحية معرفتي به، صُدِمت من التويستاية. شخص يضيع طاقته في الرقص قدام قبور المنتحرين، يقرر أن ينهي حياته بفصل رأسه عن جسده على القضيب.

لم تتوقف الأمور عند هذا الحد، فعدد رواد المترو من ذوي الميول الانتحارية زادوا على نحو فظيع. حالتان على الأقل يوميًّا. سُرِّبت الڤيديوهات، التي شقلبت البلد ورتبتها من جديد، ونزلت على «لايڤ ليك»، ما دفع وزيرة التضامن أن تخرج ببيان تعلن فيه حق شركة المترو في رفع القضايا على أهالي المنتحرين وطلب تعويض بسبب تعطيل خطوط السير ومصالح المواطنين.

قرر المتحمسون التمرد والبضينة على الحكومة، فأنشؤوا دعوة إلى الانتحار الجماعي في محطة السادات، وحددوا اليوم والساعة. لكن الشرطة تدخلت قابضة على القائمين على الدعوة، وأُجهِضت المحاولة. عاد الناس يقتلون أنفسهم بالطرق العادية التي لا تعكر الصفو العام: الشنق وقطع الشرايين.

قالت لي ريندا ونحن في الكافيه: أنا حاسة بالذنب أوي لأنه بعت لي قبل كدا فريند ريكويست على فيسبوك وأنا ما قبلتهاش.

يومها، انضمَّت إلينا قشرة آدمية، فتاة نحيلة إلى حد الموت، شعرها ضعيف وهش، وعرق نافر على جبهتها يكاد ينفجر. حكت لريندا عن مستجدات أزمتها، فقد تنصل منها أبوها وأمها على إثر حمل غير مرغوب فيه، وصاحبها أنكر الولد بعد أن خرج إلى الحياة، فتركته عند

أهل للثقة، وتقضي أيامها هائمة بين المقاهي التي مثَّلت لها شبه إقامة.

اشمأززت من الحكاية كلها. بحركة مسرحية، تركت حسابي على الطاولة وخرجت دون كلمة. تبعتني ريندا إلى الخارج، فأخبرتها ألا تفعل. تمشَّيت الهوينى على طول النهر، إلى أن انهارت قدماي، فأعدت تشكيل خريطة المدينة مقربًا شارع الاستاد مني. خلقت زقاقًا مهجورًا بمقهى بلا رواد، خادمه قهوجي، من ابتكاري، أعمى البصر والبصيرة. وهناك، جلست لأُشيِّش وأبكي.

~

لعبت دور المقموص أيامًا عدة، متجاهلًا رسائلها ومكالماتها، إلى أن مللت وكتبت لها: أنا متضايق إني في الوقت اللي محتاج فيه دعم نفسي ما كنتش مركز اهتمامك، علشان كنتي مدياه لشرموطة مطبخ. طبطبت عليَّ عبر الفضاء الإلكتروني: أنا آسفة، ما كنتش أعرف إن الموضوع حساس للدرجة، بس إنت قلت إنه ما كانش صاحبك.

زرتها بعد أن تصالحنا، وهو ما كان ضروريًّا بعد أن فرغت ترسانتي من الزاناكس. كانت القعدة مزدحمة، وأُضِيفَت إليها وجوه جديدة. شبكتْ أصابعنا، يسراها بيمناي. سحبتُ يدي. تلمَّست الخربشات على طول

بنطالها الچينز من تحت الطاولة، إلى أن وصلت إلى الركبة الممزقة. أدخلت إصبعًا ثم الثاني ثم الثالث ثم قبضتي بأكملها، محاولًا الوصول إلى الجزء اللحيم من الفخذ. ضحكتْ. ألصقت لسانها بأذني وهمست: مش كل ما تزعل تلعب في الخريطة وإنت معندكش فكرة عن إحداثياتها، حوادث كتير حصلت بسببك المرة اللي فاتت.

~

اكتشفت حينها -رغم مرور سنة على مقابلتنا الأولى- أني لا أعلم عن المنصورة سوى مكانين، وبعض الشوارع الرئيسية، وشوارع أخرى جانبية فارغة كانت تأخذني إليها لزوم التقفيش السريع والعط على الناشف. وعن الزقازيق، لم أعرف سوى مساري إلى المدرسة، وطريقي إلى موقف المنصورة الذي يُسفِّرني إليها. باستثناء أمور لا تُذكَر، عرفتها من «فور تشان» و«ريديت»، لم أدرِ عن العالم سوى ما أتاحته لي.

~

لكن الفكرة أن شرموطة المطبخ، التي حملت سفاحًا، انتحرت هي الأخرى. حكت لي ريندا.

كتبتْ بوست على فيسبوك تسأل فيه عن أقل وسائل قتل النفس إيلامًا. التعليقات كانت شديدة التنوع في

الاقتراحات، ولم يهتم أحد بإثنائها عن القرار. ثم ذِيع خبر انتحارها واتشيَّر. البعض رأى في مأساتها مادة خامًا للميمز، وانتشرت النكت على غرار: عايز أنيك .. أنيك الجثة.

~

شرحت لبطاوي، الذي حظيت باهتمامه كاملًا، أن فترتها لم تكن تحتاج إلا إلى موبايل بكاميرا وتوصيل جيد بالإنترنت وتصبح على الهواء مُدلًّى من السقف أو فائر الدم.

على سيرڤرات ديسكورد، انتشرت منافسات فكرتها أن يتبارز اثنان في تناول مخدرات مرحلتها، ليرولين وبيركوسيت، بكميات وهمية، والخاسر يموت أولًا، وعليهما، تُوضَع المراهنات.

والسواقة على الطرق الجديدة كانت وسيلة أيضًا، مرتطمين بالحواجز بعد محاولة دريفت فاشلة، أو قافزين من أعلى الكباري غير المكتملة إلى الأسفل.

~

استمرت في إمدادي بالزاناكس. جلبته لي بكل سهولة، وبلا مقابل، بواسطة شبكة معارفها الواسعة، التي يستحيل إحصاؤها أو تتبعها.

قلت لها: شبكة معارفك واسعة وملیانة أخرام.

تلوَّى جسدها اشمئزازًا وقالت لي إن كلمة خرم مقرفة. سألتها عن السبب. قالت لي إنها إحدى الكلمات التي بيكرينچ منها جسمها، حالها حال: ولوج، برعم، رطب، وأصوات المضغ والبلع.

بدأتْ دروس الثانوية العامة، وقلَّت مقابلاتنا. ثم بلا تمهيد، أرسلت إليَّ عن التنشنة غير المريحة التي تلتهم علاقتنا. سألتها: تنشنة إيه؟ لم ترد على سؤالي، بل طلبت إجازة من العلاقة لمدة شهر لنختبر فيها مدى صدق الحب بيننا.

وبعد شهر، أرسلت إليها ولم ترد. أسبوع فالثاني، لا إجابة. زوَّغت من دروسي وتوجهت إلى كافيه أندريا على أمل أن أقابلها. وجدت العرص التخين جالسًا مع فتاة بنصف حجاب، سألته: ما شُفتش ريندا يا عرص؟ فرد: لا والله يا برو، مختفية بقالها مدة، فيه حاجة؟ قلت: ما تاخدش في بالك.

جلست بعيدًا عنهما، مقابلًا الباب، منتظرًا دخولها. مرت ساعات بلا نفع، ويئست. نقدت القهوجي ثمن ما شربت من قهوة وشيشة، وودعت المكان.

عرفت -بالمصادفة- أن لأم رهف صيدلية معروفة. تشجعت وأخبرتها بمرضي واحتياجي إلى الزاناكس. بلا اتفاق شفهي أو مكتوب، صارت تمدني بالمخدر مقابل شرح معادلات الأورجانيك كيمستري لها في كافيه كيبلر، أول كافيه معلق وتصعد إليه بسلالم متصلة مباشرة بالشارع في الزقازيق. تعرفت عليها من درس الكيمياء.

فترتها، حركني الهواء، تيارات البشر، مواعيد الدروس، واجبات الفيزياء والنحو والبلاغة، الامتحانات التجريبية، كل شيء، ما عدا ساقيَّ.

~

لم أستطع تجاوز هجر ريندا المفاجئ لي دون تبريرات بعد سنتين كاملتين استثمرتهما في علاقتنا. أوسخ طريقة دائمًا هي الجوستنج. ثم في يوم، دخلت لأرسل إليها رسالتي اليومية الباكية على واتساب، التي تتراوح بين: وحشتيني، و: ممكن أفهم أنا عملت إيه غلط؟ لأجدها أجهزت على الأمل المتبقي بالبلوك.

بسبب التعاطي، شحب لوني تمامًا. فقدت بشرتي لمعتها البرونزية المميزة، وأهلَّة بنفسجية نُقِشت حول عينيَّ. لم يشك عمي ولا زوجته في شيء، وخمَّنا أن الأمر كله لضغط المذاكرة.

زاد الأبيوز إلى درجات مريعة بعد أن سافرت زوجة

عمي لقضاء العمرة، وصار عمي يقضي أيامه كلها في استراحة المحافظة. طلعت في لايف على إنستجرام. تناولت سبع حبات، بلعتها الواحدة وراء الأخرى، بالعصير القرمزي – مزيج من أدوية كحة تحتوي على الكودايين والبروميثازين مع شويبس بطعم الرمان.

استيقظت على إثر خبطات عنيفة على الباب، بدت جزءًا من حلم لم يُنحَّ تمامًا عن خيالي. فمي جاف، ومن المؤلم فصل لساني عن سقف حلقي. البث لا يزال شغالًا. دام ساعة ونصف. لمحت تعليقًا، قبل أن أنهيه، يقول شيئًا مثل: يا جماعة حد يطمنَّا عليه ضروري.

تكرر الرزع على نحو بدا أوقع الآن. سرت على أرض تفترشها المسامير، إلى أن وصلت إلى الباب. فتحته لأجد زميل دراسة ومعه أمه. أغلقت عينيَّ وفتحتهما لأجدني في غرفة طوارئ مستشفى التيسير. هناك، أجبروني على التقيؤ، ووصفوا لي مدرات البول لطرد السموم. ألقى الطبيب على سمعي عصارة خبرته في حب الحياة.

~

التزمت السرير أسبوعًا، أعب السوائل وأطرطرها، أنظر إلى السقف متسائلًا متى ينتهي العذاب. في اليوم الثامن، عادت زوجة عمي، فدبَّت فيَّ الطاقة حتى لا تشعر بأي غرابة، وعدت إلى دروسي ومذاكرتي.

كأني بُعِثت من جديد بعد فشلي في الموت. رميت كل ما عندي من أدوية في التواليت وشديت عليها السيفون، وأدركت ضرورة التخطي، فبحثت على ويكي هاو عن طرق مضمونة ومجربة لحب الذات وتخطي العلاقات السامة. أخذت الخلاصة. وقفت كل صباح أمام المرآة وكررت: أنا بحبك. قبل أن أُقبِّل انعكاسي بشغف. ذهبت إلى سنتر درس الكيمياء، وطلبت من السكرتيرة تغيير مجموعتي، لأتحاشى مقابلة رهف من جديد، متحججًا بتضارب مواعيد الدروس.

خف القلق وحُدَّ على درجة يمكن ترويضها، خصوصًا بعدما أقلعت عن الكافيين والتدخين. تعاملت مع بقاياه بميكانيزمات متعددة للتأقلم، أهمها الكتابة.

~

بعد إتمامي الدراسة الثانوية، وحصولي على درجة فاقت كل التوقعات، أهداني عمي سيارة شيڤورليه لانوس مستعملة، تلك التي نمتطيها الآن نحو فرسيس. حاول إدخالي الكلية الفنية العسكرية، لكن زوجته رفضت لأنها تريدني -أنا تسليتها الوحيدة- بجوارها، واتفقا على التحاقي بكلية الهندسة جامعة الزقازيق.

~

تِرم مرَّ. مع دخول الثاني، أتى حظر التجول، وأُغلِقت المساجد، وسرَت رائحة الإثيلين في الفضاء. السبب: ڤيروس قاتل يأخذ شكل التاج تحت الميكروسكوب، وينتقل بالنفَس. انتشرت أنباء عن احتواء اللقاح على شرائح إلكترونية متصلة بشبكة الجيل الخامس الخلوية. زعيمة أقباط المهجر قالت إن هذا إيذان بخروج وحش من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون. وزعماء السلفية أعلنوا اقتراب يأجوج ومأجوج من تكسير السد، ما دفع إلى خروج مساعد وزير الدفاع لقطاع تفجير السدود مع الإعلامي «صوت الغلابة» لنفي الشائعة، الأقمار الصناعية لم تلتقط ما يؤكد حجتهم بعد.

جعلوا المحاضرات أون لاين، ونجحت أغلب دفعتي بالأبحاث.

سليت وقت الحظر بقراءة بوستات *Cairo Confessions* على فيسبوك، ومتابعة ڤيديوهات تحفيزية لأهم مقومات النجاح والثقة بالنفس على يوتيوب. في واحد من المقاطع، عُرِض، في فاصل، إعلان لتطبيق راندوناتيكا، فكرته توليد أرقام لإحداثيات مواقع عشوائية في نطاق المستخدمين تحفيزًا على استكشاف مناطق جديدة من حولهم.

عجبتني الفكرة وحمَّلته. أدخلت بياناتي عليه، وعيَّنت

مكاني على الخريطة. حدد لي قرية فرسيس كمغامرة مخصصة لي.

ارتديت تيشرت تيمبرلاند أبيض فضفاضًا على شورت كاكي، وكمامة أرجوانية. أخبرت زوجة عمي أني خارج للف قليلًا بالعربة وشم النفس، فصرَّحت لي بالخروج، على ألا أتردد في الاتصال بعمي إن أوقفني كمين بعد بداية ساعات الحظر.

وانطلقت على الطريق بصحبة ذكر بط متكلم.

~

توقف بطاوي عند جزء انتهاء العلاقة، بطبَط: تخيل لو كان فيه وسيلة عند كل إنسان يعرف من خلالها إمتى التنشنة تبتدي علشان يلحقها، علاقات كتيرة كانت هتستمر.

هكذا أتت إليَّ الفكرة.

~

في عامي الخامس، سنة البكالوريوس بكلية الهندسة، انفجر رأس عمي دون مقدمات في أثناء اجتماعه برؤساء المراكز والمدن لمتابعة تطبيق التعريفة الجديدة. انتثرت شراذم دماغه مُلوِّثةً الوجوه والبِدل. لم أذهب إلى امتحاناتي سنتها ولم أسجل في مشروعات التخرج.

اعتكفت في غرفتي. في الجنازة، قابلت أبي وانهرت.

وفي العام السادس، بعدما لممت ما تبعثر مني لأجمعه، تُوفِّيَت زوجة عمي في نومها في سلام وهدوء، وانعزلتُ.

في العام السابع، انفكَّت العقدة وتخرجت متأخرًا عن دفعتي بسنتين. سرقت فكرة مشروع تخرجي من قصة مغمورة قرأتها على الإنترنت: ماكيت تقع فيه قصة حب ثلاثي الأطراف، أبطالها ثلاث روبوتات.

~

بدا البيت أوسع من اللازم إذ فرغ، فقررت افتتاح مشروعي الأول فيه: ثلاجات لحفظ الفُروج، فإن غادر زوج غيور البلاد، وخاف على زوجته من الشهوة، كان يخلع عنها كسها ويأتيني به لحفظه، وهكذا تظل حافظة لفرجها وعفتها.

فكرة بسيطة ولم ينفذها أحد قبلي، فنجحتْ. تضاعف الإقبال بعد نشر مصراوي تقريرًا كاملًا عني.

زاد المال، فاستمعت لنصيحة چاي زي: الحرية الاقتصادية يا زنجي هي أملنا الوحيد/ كس أمك لو قررت تعيش غني وتموت فقير. خزنت الفائض من فلوسي في الـ *NFTs* والأنتيكات.

~

كنت أُقلِّب بين موديلات أونلي فانز عندما رأيت صورتها. حلقت شعرها *Buzz Cut*، وشقَّت لسانها، وغدت لها عينا سحلية بلا بياض. اشتريت ڤيديوهاتها كلها. استمنيت ونمت. أتت إليَّ في الحلم، بشعر أسود ثقيل ولسان سليم، حضنتها ومسحت على ظهرها.

~

ضمن لي نجاح المكان، وتزايد أعداد العاملين فيه، فراغ الوقت لتحقيق حلمي الرئيسي. توسعت في دراسة المواد الذكية، ووصلت إلى مراحل متقدمة في دراسة البوابات المنطقية، ولغات البرمجة. زرت، في رحلات استكشافية، مصانع المستشعرات في بقاع عدة من الأرض. وعندما كونت الخبرات اللازمة، بدأت الشغل مستعينًا بنخبة من مهندسي المواد الطبية.

جربنا النماذج المبدئية على مجموعة من المتطوعين. فشلنا، وأعدنا المحاولة والبحث والتطوير في المبدأ العلمي للاختراع، حتى انعدمت نسبة الخطأ.

~

شُيِّد مصنع سينسورات التنشنة بتمويل مصري خليجي. يوم الافتتاح، استأجرت دي چيه يذيع أسماء الله الحسنى، لتكون فاتحة خير علينا، وقزمًا أدى فقرة استعراضية عند المدخل، وسط بوكيهات الورود وكروت

التهنئة والمباركة، على أرض مفروشة بنشارة الخشب.

وزعنا نسبة ضئيلة، للتجربة، في السوق. زرعنا السينسورات في أكتاف الزبائن، وظلوا تحت رعاية مختصة حتى ارتبطت المجسات بأجهزتهم العصبية وتقبَّلها الجسد. كثر الطلب، فزودنا نسبة التوزيع، حتى غطت الكرة الأرضية كلها. تنتهي الصلاحية، وتبدأ التنشنة تخرب العلاقات، فيقفلون عائدين.

~

كان في سينسورات التنشنة كل الكفاية. التزمت بصلواتي الخمس. واظبت على الزكاة عن مالي ونجاحي. خوفًا من الحسد، احتميت بالرقى الشرعية، التي فكستها أمي، وأدت إلى انتحارها.

سينسورات التنشئة!

بكل حب...

صُنع في مصر

انضممت إلى قائمة ٣٠ تحت ٣٠ عام ٢٠٣٠، في فوربس الشرق الأوسط. تُوِّجَت المساعي بتكريمي في منتدى الشباب العالمي بشرم الشيخ. وقفت على المنصة لأسرد كفاحي، بينما الاسلايدات والصور تُعرَض من خلفي، مع مقاطعات عدة من سيادة الرئيس، الجالس في مقدمة الحضور، خاطبًا في جموع البشر الجالسين وراءه. جمعت القناة الرسمية مداخلاته ورفعتها على يوتيوب بعنوان: بيست أوف الريس.

طلع فخامته وعلق على رقبتي ميدالية. استأذنته أن تشاركني زوجة المرحوم الأستاذ بطاوي، الذي أدين له بفكرة المشروع كله، أبرز أحداث حياتي، فأذن لها بالصعود على الاستيدچ. جلس القرفصاء ليستقيم مستوى البصر. سألها إن كانت تريد شيئًا، وإن كان وضعها المعيشي على ما يُرام. اختبرت البطة الأرملة كثيرًا من المشاعر، كلها جديدة عليها، فلم تستطع أن تمسك نفسها، وشخت على المنصة. لزم الأمر مسافة من القرب حتى ترى الشخة وتشمها، فلم يدرِ الحضور بالواقعة، وضجَّت القاعة بالتصفيق.

~

استأنفت السواقة على رمل خشن. كان الحصى يضرب عفشة السيارة من تحت. ذابت كل معالم الحياة من على الطريق، ولفت الصحراء البيوت. ولما وصلت قرية فرسيس، استقبلني آدمي برأس كبش.

مشروع التخرج

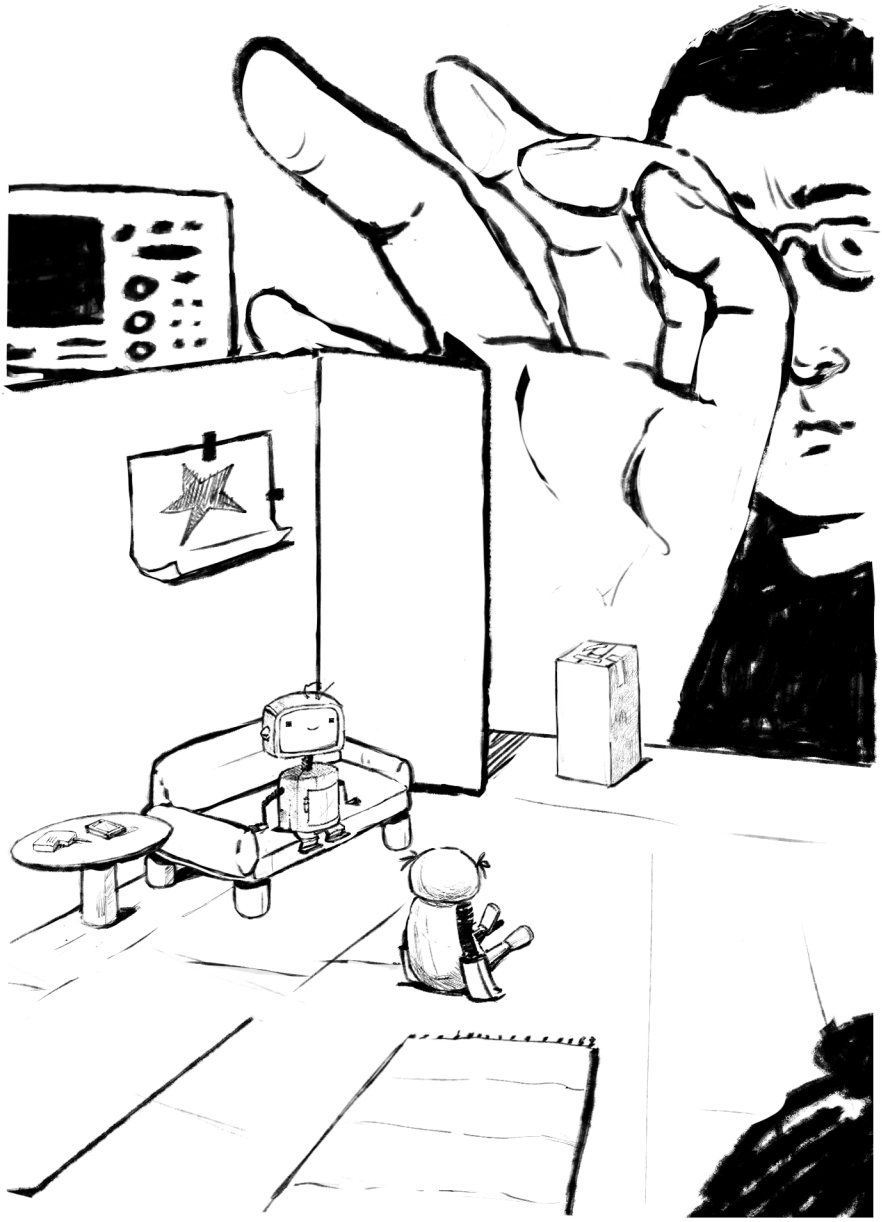

مشروع التخرج

يوم نتيجة التنسيق، دخل الطالب محمد أحمد، الشهير على فيسبوك بـ«محمد الجامد جدًّا»، على أهله وقال: أنا اتخصصت ميكاترونكس، هصمم روبوتات وهقضي بقية حياتي مع المكن وحاجات زي كدا. ترك والديه مبتهجي الأسارير، ثم عاد إلى غرفته حيث دفن نفسه في مضجعه، وبكى تِرمًا كاملًا. سخر بعدها من الأمر. عندما سيسأله أصدقاؤه أين كان طوال المدة الماضية، معتمدًا على عدم قابلية الموضوع للتصديق وسخافته، سيرد: كنت بعيط في أوضتي.

الآن، في سنته الأخيرة بالكلية، متأخرًا عن دفعته بستة أشهر، كان يعمل على مشروع تخرجه.

يتكون المشروع من ماكيت معماري استعاره من صديق له، حذف منه تفاصيل كثيرة لينتهي إلى حجرتين. الحجرة الأولى خاصة بالنموذج ذكر وتضم سريرًا ومصلى، والحجرة الثانية الخاصة بالنموذج أنثى ١، وفي ضيافتها نموذج أنثى ٢، خالية إلا من كنبة وطاولة عليها هاتف لعبة وشنيور مصغر. زرع الجامد البيانات في كل شخصية من الثلاثة عن طريق لوح إلكتروني أزرق يحتوي

على شريحة متصلة بكمبيوتر برمج منه المعلومات التي من خلالها تدور أحداث القصة.

شاشة العرض عبارة عن أوسليسكوب مُثبَّت على حامل، حوَّل فيه الإشارات والأمواج إلى حروف، واتصلت الحروف لتُكوِّن كلمات من لون أخضر كئيب على خلفية ميتة، شكَّل من خلالها السرد المصاحب لحركة النماذج، تمامًا مثل فيلم صامت.

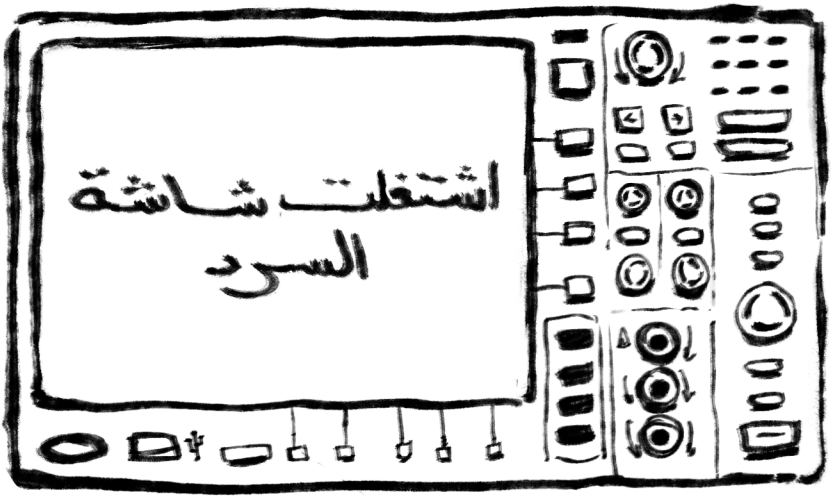
اشتغلت شاشة
السرد

صار النوم عملًا شاقًّا بالنسبة إلى ذكر منذ أن حُمِّلت صورة أنثى ١ في ذاكرته. يتقلب على سريره ظهرًا وبطنًا دون جدوى. وإن نام، تأتي إليه في أحلامه لتخبره أنها افتقدته. يقترب منها ليلمسها فيستيقظ حاضنًا الهواء. ظل على الحال ذاتها أشهرًا عدة.

بالإضافة إلى البطء، قيَّده ناقل حركته البدائي بالسير في اتجاهين فقط: إلى الأمام وإلى الوراء، الأمر الذي دفعه إلى مزيد من التفكير ورسْم السيناريوهات معتمدًا على الشيئين اللذين لا يعرف سواهما عنها: شكلها واسمها.

يعتلي سريره المستند إلى أربعة أعواد ثقاب، ويضرب لحمته التي كانت أسطوانة من المطاط الأسود معزولة عن بقية موصلات جسده، مستحضرًا كل الصور عدا صورتها. بعدها، يسيطر عليه الذنب من عادته التي تهز عرش الكائن. يتخيله غاضبًا جدًّا منه فيعاقبه دنيويًّا بقطع مزيد من الطرق التي تفصله عن حبيبة قلبه. ومن ثقل الذنب، يضع رأسه النحاسي المربع على المصلي ويبتهل: معلش بقى، عدِّيها لي المرة دي.

في الحزن الثقيل المخيم عليه، واسى نفسه باحتمال أنها تعرف عنه بالمقدار نفسه، شاركتْه الغم، احتاجت إليه ولم يكن بالجوار. لا بديل يشغلهما، وهو ما حال دون

انفلات كل الذكريات الوهمية والصور من بين أصابعهما.

لتتحرك القصة إلى الأمام، كوَّد المبرمج عنوان أنثى ١ وتاريخ عيد ميلادها في عقل ذكر. كانت مساحة التخزين ممتلئة، فحذف من ذاكرته الشهوة.

قرر -وقد نزل عليه الوحي بتاريخ ميلادها وعنوانها- إرسال هدية إليها. لكنه لا يعرف اهتماماتها. ففكر: ربما يُستحسَن أن يكون هو بذاته الهدية.

سيضع نفسه داخل صندوق سيهيئ بداخله فرص البقاء لأيام عدة، يختمه بعلامة «قابل للكسر»، ثم يُشحَن مع أرامكس حتى باب منزلها.

تخيل نظرات الاندهاش والفرح على شاشة وجهها عندما تراه خارجًا من الشحنة. ستخبره أنها انتظرته كثيرًا، ستحضنه. سيقضيان فترة قصيرة للتفاهم والتعارف وخلق الأرضيات المشتركة، سيقرران الزواج، سينجبان نماذج مصغرة أخرى.

حياتهما ستكون جنة من التروس والصواميل والعجلات المسننة، كلها معلقة على حوامل أو قضبان. في عالم ضخم مساحته خمسة أمتار مربعة، سيُزلِّق شفتيهما الجلسرين، مع كل قبلة سيتشاركانها. لماذا لم تأتِ إليه الفكرة أبكر من ذلك؟

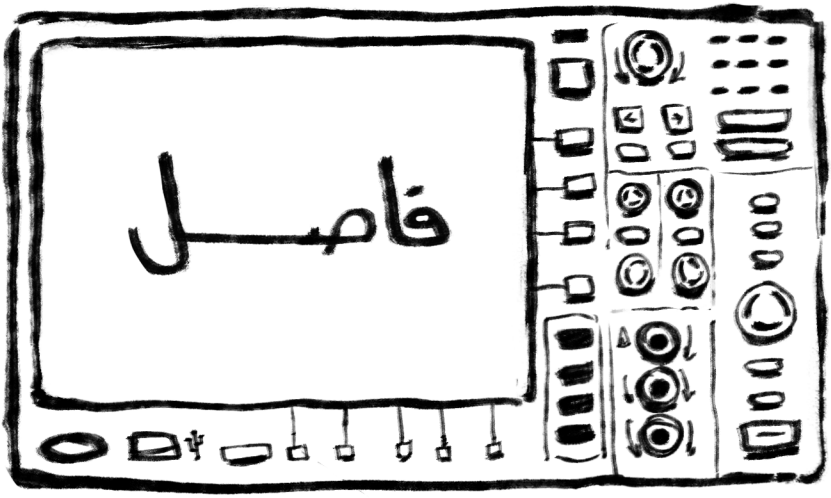
فاصل

بعد «وحشتيني»، كتب الطالب محمد الجامد جدًّا إلى صاحبته، على تطبيق المراسلات الأخضر، يطلب منها إرسال مقطع صوتي مدته خمس ثوانٍ لضحكتها، يريده للمشروع. حاول استباقيًّا تجنب العتاب واستدرك: وآسف على إني مقصَّر شوية الفترة اللي فاتت، مضغوط أوي في البروجكت بتاعي الفترة دي. بالمناسبة .. أنا مستوحي حاجات في شخصية البنت منك. على الجانب الآخر من الشاشة، قفزت مرحة بمجرد أن عرفت، وصرخت: ياي! أرسلت إليه أكثر من ضحكة لها ليختار الأنسب.

عوضها عن مدة الغياب بعد إتمام تسليم المشروع. تقابلا في الزمالك حيث ظلَّا معًا لنصف يوم، متجولين بلا هدف، متنقلين بين مقاهي شارع البرازيل كلما ملَّا، هي تشاركه كل المستجدات والقراءات والطرائف التي فاتته في حياتها، وهو يدخن بلا انقطاع ويعقب. لم يكن ذلك جليًّا على وجهه، الذي وسمته بوش الروبوت، ولكنه كان مبسوطًا ولم يُرِد لليوم أن ينتهي.

بعدها بأسبوعين، ستتركه وتستبدله بمخرج إعلانات له ستة أفلام قصيرة فازت بجوائز عدة في مهرجانات إفريقية متفاوتة الأهمية.

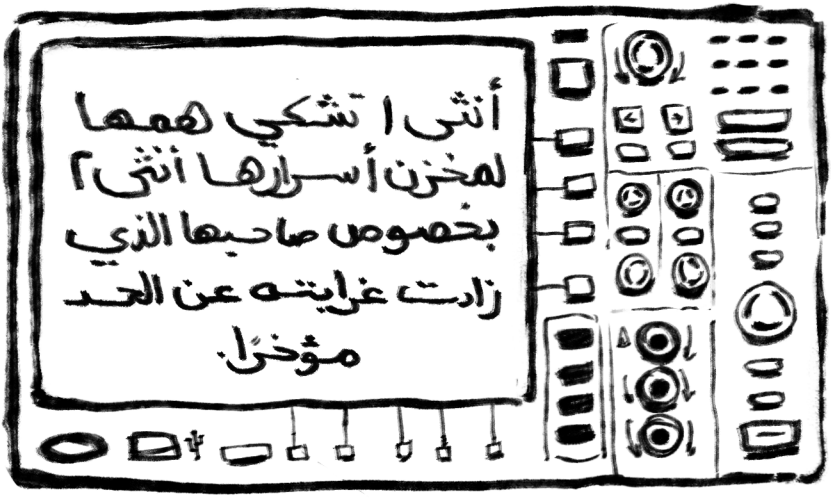
أنثى | تشكي همها
لمخزن أسرارها أنثى؟
بخصوص صاحبها الذي
زادت غرابته عن الحد
مؤخرًا.

قالت: بصي، الموضوع بدأ بعد حادثة أبوه. غاب مدة طويلة، فتتبعوا أثره عن طريق تطبيق *FIND MY IPHONE*، لحد ما اكتشفوا جثته مرمية في بيت مهجور وفي منطقة مقطوعة. كان شغال على اختراع جديد للتنقل بين الأكوان الموازية، لكن حكومة الدولة المعادية وصلها الخبر وقتلته. أو على الأقل دا اللي حكاه ليا.

ردت ٢: قريت حاجة مشابهة من مدة على النيوزفيد.

استأنفت ١: مزاجه بعدها بقى وحش أوي. ولو ما كانش بيتخانق معايا، كان بيشاركني فيتيشاته اللي خلاص ما عُدتش قادرة أتعامل معاها. حتى بصي.

امتدت ذراعها إلى الطاولة. أمسكت بيدها، عن طريق وحدة التحكم، هاتفًا ورديًّا ماركة باربي، وأعطته لصديقتها لتشاهد ما عليه. الهاتف اللعبة كان مصمتًا، ولكن أنثى ٢ كانت مُصمَّمة بحيث ترى محادثة على سناب شات يطلب فيها منها أن تتنكر على هيئة إحدى شخصياته الكارتونية المفضلة. تألَّف الكوزبلاي من: طوق على شكل أذني قطة – فستان مدرسي – جوارب خضراء – أحمر كثيف على الخدود. لم تستطع تصفح أي صور مرسلة منه أو منها بسبب استنفاد عدد مرات إعادة الرؤية.

قالت: حاجات مشابهة كانت بتخوفني منه، خصوصًا إن طلباته كانت كل شوية تبقى ويرد أكتر، يا إما عدواني جدًّا أو هورني جدًّا. لحد ما كلمني بعد فترة انقطاع إن مخه ما عادش متناغم خالص، فسألني: تعرفي مكان كويس لدوزنة الأدمغة؟ فنصحته يروح لمتخصص. وفي الورشة، قالوا له إنهم هيحتاجوا يشكِّلوا الراس من أول وجديد.

معالجها القديم لم يستطع مواكبة كل تلك المعلومات وترجمتها، فتعطلت ذاكرتها بضع ثوانٍ قبل أن تستكمل.

قالت: اختفى، بعدين بعت لي علشان يطمِّني إن راسه رجعت أحسن من الأول، ومشاعره اتصلَّحت. بس أنا حاسة بالعكس. ردوده مش مترتبة، دا غير إنه استرخص واشترى وش جديد من غير شاشة، يعني لما بيبعت لي سيلفي بشوف مكعب نحاس مفيهوش أي مشاعر. نسي حاجات كتير بيني وبينه، إمبارح بعتّ له أقول له إن بابي عنده مؤتمر وهيغيب أسبوع وإنه ممكن ييجي نقضي يوم سوا واعتذر علشان المذاكرة المتراكمة عليه.

انحرف وجهها بزاوية حادة إلى الأمام وارتفعت يداها لتغطيه وقالت: حطي نفسك مكاني. فجأة بقيت مفتقدة طلباته الغريبة وإحنا بنسِكِسْت. ما عادش بيتكلم، ولو

رد على رسايلي بتكون ردوده رسمية وباردة، طبعًا دا لو ما تجاهلنيش وقرا الرسايل من برَّه من غير رد. وأنا مش مستحملة فكرة إني لسه هدوَّر على حد مناسب تاني. والنهارده ما كلِّفش خاطره إنه يبعت لي كل سنة وإنتي طيبة حتى. أنا بجد تعبت.

تقتحم يد المبرمج باب الحجرة قابضة على الصندوق، تفلته وتخرج.

سارت أنثى ١ نحو الشحنة تتبعها أنثى ٢. على البطاقة، كُتِب: هدية حبنا. جذلت وضحكت ضحكتها المستعارة، ظنت الإرسالية من حبيبها المقطوع الرأس. إن كانت إمكانيات مفصلات ساقيها أفضل لقفزت من الفرح. قالت: دا افتكرني وبعت لي هدية، قد إيه أنا كنت عبيطة! يا ترى جاب لي إيه؟

مرتجفًا من الإثارة، كان نموذج ذكر بالداخل. أحسَّ بدرجة حرارة هيكله ترتفع، فعَلَتْ أصوات مراوح التبريد، بينما كان الحوار بالخارج يأتيه مكتومًا ومشوشًا. بالعافية، تمكَّنتا من فك اللاصق المحكم في المربع العلوي من الصندوق، لتكتشفا بعدها أنه مُسمَّر من كل جهة.

استفسرت أنثى ٢: عندك مقص هنا؟

ردت: تؤتؤ، مفيش غير مقص الخياطة بتاع مامي ودا

تِلِم مش هيعمل حاجة. استني.

أتت بالشنيور المصغر من على الطاولة: بابي ساب دا هنا، أعتقد إنه هينفع.

بينما الحماس يكاد يفجر ذكر، غرزت أنثى ١ الشفرة عبر منتصف الشحنة، مقتحمة الورق المقوى، والوسادات المطاطية التي تمدد عليها طوال رحلة التوصيل، عابرة رأسه انتهاءً بكيانه المعدني.

صرخت مشيرة إليه: مين دا؟!

على أرض الماكيت المصنوع من البلاستيك الأبيض، انسال دم من عصير التوت البري يعود إلى مطاردها العاشق الميت، وعلى صفحة وجهه المشطور إلى نصفين، ابتسامة، بين السلوك المفصولة عن جثته، هكذا 🙂.

لفقر خياله ونفسه القصير، عجز الجامد عن إيجاد نهاية ملائمة لتلك النكتة. بحث في أرشيف تجاربه المعدودة، وحسه الفكاهي الذي خانه تلك المرة، عن تعقيدات وتفاصيل أكثر ليثري بها الحدوتة، دون جدوى، فقرر في استسلام يائس وملول أن ينهي الحكاية هنا. وفجأة، تنقطع شاشة السرد إلى الأسود.

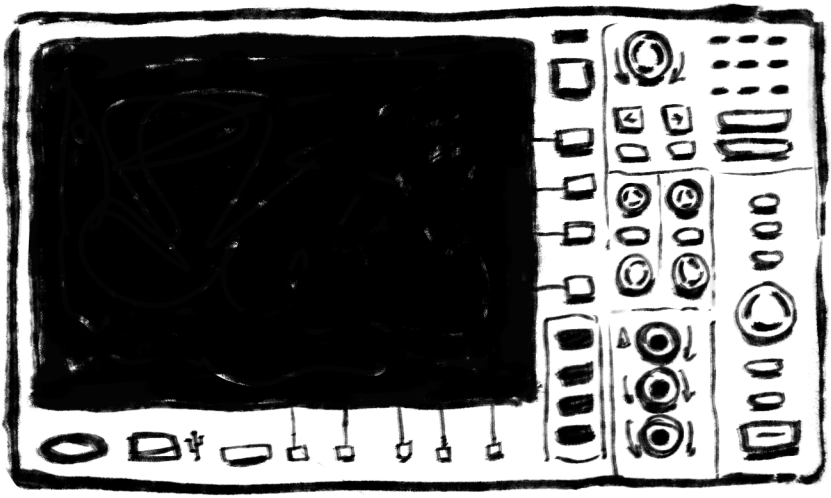

غطى المشروع بحافظ زجاجي. سلمه وناقشه. ظهرت النتيجة بعدها بفترة قصيرة، وتخرج بتقدير عام جيد مرتفع. حُفِظ الماكيت بمشتملاته في متحف مشروعات التخرج بجامعة السلوم والزيارة مفتوحة لمن يريد.

في راحته، كان يرتب المراجع العلمية والأوراق المهملة في مكتبته وينفض عنها التراب بعد أن امتلأت غرفته بحشرات السمك الفضي، عندما أتى إليه إشعار من صاحبته تخبره أنها تريد التحدث معه إن كان فاضيًا الآن. أرسل: حصل إيه؟

ردت عليه برسائل صوتية متتابعة: من شهرين اتعرفت على حد عن طريق صحابي، أعتقد إنك هتعرفه لأنه اتضح إن بينكم معارف مشتركة كتيرة، شغال هو في وكالة طارق نور للدعاية والإعلان، وجاذبيته بصراحة غلبتني .. مفيش حاجة حصلت بيننا فيزيكلي، مجرد خروجات فترة انشغالك بالمشروع.

انقطع الريكورد، ثم استأنفت: حاولت أدِّيك فرصة بخروجتنا الأخيرة في الزمالك من أسبوعين، بس كأن مشاعري ليك اتطفت، وكل اللي جاي هيكون حرق جاز على الفاضي وذنب تقيل على قلبي بخيانتي ليك بمشاعري بما إنك عبيط وعمرك ما هتخمِّن. من كام يوم اعترفنا بحبنا لبعض، وعزمني على بانوراما الفيلم الأوروبي.

طول المدة اللي فاتت ما كنتش قادرة غير إني أحطكم في مقارنة، لأنك فعلًا مش عارف تتخطى فكرة إنك ما عادش عندك ١٦ سنة وإن محدش مهتم بنكتك الإيدچي على فيسبوك. في الأول كنت بتعبَّر دايمًا عن قرفك من وسَط المهندسين، في حين حكاياتك دلوقت كلها عن الآلات وعن خناقاتك مع الدكاترة والمعيدين. إنت حتى بقى عندك ٢٣ سنة ولسه ما طلَّعتش رخصة سواقة!

كان الموبايل يرتعش في يده عندما كتب: وهو عنده رخصة؟

ردت عليه في تسجيل آخر، بصوت منفعل وحاد: آه، وغير كدا بيعرف يجمع كلمتين على بعض وما بيفضلش يعتذر كل ست دقائق عن قد إيه هو خجول ومش لاقي حاجة يقولها. وعنده حياة اجتماعية وآراء نقدية بينزِّلها على «ليتربوكسد». إنت بقى إمتى كان آخر كتاب قريته باستثناء كتب الكلية؟! إمتى كانت آخر مرة ناقشتني فيها في فيلم؟ إمتى كانت آخر مرة فتحت فيها مدونتي تقرا فيها اللي بكتبه من غير تريقة على مستوى عربيتي الفصحى؟ ساعات بفكر فيك إنك مجرد حالة ميؤوس منها. مفيش حاجة مهمة بالنسبة لك غير اللي بيتعلق بيك وبس، وكل اللي برَّه محيط ذاتك تافه. إنت مش محتاج حب، إنت محتاج أم. خوفك الدايم من هجر الناس ليك، وكل الإنسكيوريتيز اللي عندك وبتطلَّعها على

غيرك، استنزفتني، وما عادش عندي طاقة إني أعرَّص لك طول الوقت خلاص. في قعداتي معاك بالعافية بتتكلم، آخر مرة خرج منك ١٣ جملة بالعدد، وكلها تريقة. ولو لا قدر الله ما لقيتش اللي تتهكم عليه، تبتدي تسخر من نفسك. أنا ما عُدتش عارفة أحبك ولا عايزاك، وكفاية الأذى اللي سببتهولي لحد هنا.

لم يفهم، كان يفكر في رد ملائم. همَّ بالتكتكة على الموبايل، لكن فات الأوان. نزلت عليه بالبلوكات على كل وسائل التواصل بينهما. اتصل بها ليجدها وضعته في القائمة السوداء. غير مستوعب أنها ضاعت منه إلى الأبد، بدأ كل شيء يهتز من حوله.

ضجيج شقة الجيران الآتي من شباك المنور في حجرته كان عاليًا، خناقة أسرية وتهديدات بالطلاق. ارتدى الجاكت البامب وخرج ليجلب الآيس كريم ويتمشى وهو يفكر أن كل دوافعه للاستمرار انهارت. فتش في الرسائل القديمة عن سبب لعدوانيتها ولم يصل إلى شيء. ربما بدأ الأمر عندما أخبرها أنها زادت قليلًا في الوزن.

تجسس عليها عبر حساباته المستعارة، متتبعًا كل صورة جديدة ترفعها على إنستجرام، الذي اقترب عدد متابعيها عليه من الوصول إلى الألف الثالثة. بينما صاحبها الجديد لم يبذل عناءً كبيرًا ليعرف عن

كل أفلامه القصيرة التي تُختار للعرض في المهرجانات المستقلة، عند نشر أصدقائه المشتركين التهنئات على النيوزفيد، فأخذ يصطادهم واحدًا واحدًا على فيسبوك مزيلًا إياهم من قائمة أصدقائه.

مكسور القلب، المسكين، انتهى من أوراق الجيش وأخذ الإعفاء المأمول، ثم دخل في دوامة استمرت سنتين من التدريب في الشركات والكورسات والمعادلات، إلى أن أتت له الفرصة وهاجر.

من جنة المكثفات والصواميل إلى جنة الثلج، على ارتفاع عشرة كيلومترات فوق سطح الأرض، طار إلى إدمنتون بحثًا عن نجمة الشمال.

عامًا وراء الآخر، أخذ خط شعره الأمامي ينحسر. استقرت العيشة. كان يترقى في عمله بسرعة لأنه لا يمتلك غيره. كف عن القراءة ومشاهدة الأفلام والكتابة باعتبار أن الحياة الفعلية أصبحت البديل الأنسب له. استعاض عن الأغاني بالاستماع لدورات تعليم اللغات للمبتدئين ودروس التنمية البشرية.

وفي ليالي السهاد، اعتاد التحديق بالساعات في ڤيديوهات فڤْء الدمامل أو الاستماع للـ *ASMR* حيث فتاة تردد اسمه على مسامعه بصوت متعدد الأبعاد إلى أن ينام، مقابل دعم رمزي منه لها على باتريون. في

أحلامه، لم يتوقف عن المشي.

أقلع عن التدخين وعن السوشيال ميديا. واظب على التمارين السويدية المعتمدة على وزن الجسم فقط وإن لجأ أحيانًا إلى الأثقال. كتفاه شكَّلتا خطًّا مستقيمًا وصدره أعرض من الحياة.

على تطبيق يور ماي تايب، لم يجد ضالته، لكن، على تندر، وقد تعدى الثلاثين الآن، وجد السعادة.

× يوم نحس مستمر ÷

يوم خمس مستمر

ازدادت كوابيس البدين فترة الامتحانات.

روى على جدته حلمين. أوقفته قبل أن يشرع في سرد الثالث. حذَّرته من أن يحكي كوابيسه لأحد. إنْ فعل تحقَّقت. أتت بقطعة ورقية وقصَّتها على هيئة عروسة بوجه وذراعين وساقين. خزَّقت العينين ثم أحرقتها. غطَّت جبهته بالرماد. تلت عليه بعدها آيات مختارة من الذكر الحكيم. نهته عن التحرك. تركته جالسًا على حرف سريره، ثم خرجت وقد أغلقت باب غرفته وراءها. شعر برغبة في حك فخذه، لكنه التزم بتعليمات الجدة. دخلت عليه بعدها بدقائق إذ انتشر أذان الفجر. أمرته بالوضوء ليؤمَّها في الصلاة.

سمَّى. غسل كفيه. تمضمض. جذب الماء من منخاره الأيمن وأخرجه من الأيسر. غسل وجهه. مرَّر الماء على يديه وحتى كوعيه. بلَّل شعره. شطف عن أذنيه الشمع. تعسَّر عليه رفع قدميه إلى الحوض. اكتفى برمي الماء عليهما.

كان لحمه الزائد يصفق مع كل ركعة. سلَّم على الملاكين. خفَّف حمل كتلته عن ركبتيه عند الوقوف

بالاستناد إلى الحائط أمامه. قبَّل يد جدته. كانت تُسبِّح. عاد إلى مذاكرته. انشغلت بدروسها.

جدته معلمة تحفيظ قرآن بترخيص من وزارة الأوقاف. مجموعتها على تيليجرام هي الأشهر لتلقين القرآن بالتجويد للأطفال والنساء. كل يوم من الفجر إلى العصر تسمع وتُعدِّل وتُحفِّظ وتُفسِّر بلا مقابل مادي. على عكس الرسول، لم تقبل أي هدايا.

~

لم تتوقف كوابيس البدين. ازدادت. تمثلت له في واقعه.

حلم أنه ممدد على كرسي الأسنان تحت كشاف أعماه. فمه مفتوح، والطبيبة فوقه. كان كبيرًا جدًّا. سقطت الطبيبة في فمه المفتوح على وسعه في أثناء الكشف. قالت من تحت لسانه: أسنانك كلها بايظة يا مسكين. هناخد مقاسات ونعمل لك طقم كامل. لازم نخلع كل دا. هرس الطبيبة بين فكيه. لفظها في المبصقة.

استيقظ على الوجع. بدأ في سن وحيدة، ثم انتشر في بقية أسنانه بالطول والعرض، حتى أنه لم يستطع تحديد مكانه. ازداد الألم مع الشرب، المضغ، اصطكاك الأسنان في أثناء حل المسائل جالسًا إزاء المكتب على كرسيه الذي تحمَّل لساعات طويلة طيزه الثقيلة بفسائها المكتوم.

لا متسع للذهاب إلى أطباء. امتحانه القادم والأخير بعد ثلاثة أيام. بلبع المسكنات بوفرة، لكن الألم لم ينتهِ. لم تتوقف كوابيس البدين.

~

بدا البيت يتداعى.

يعيش مع جدته في بيت واسع من أربع شقق وطابقين. ربط سلمٌ خشبي داخلي الشقتين فوق بالشقتين تحت. كان يشتكي إليها أحيانًا من مدى سعة البيت عليهما، هما الاثنان فقط. طمأنته بأنها تملؤه بالقرآن والبخور. نشرت الملح عند أركان الغرف المقفلة منذ زمن.

الكثير من الأثاث ليزحم البيت.

شقوق في الحوائط. صفير أنابيب المياه. حنفيات تُنقِّط. بلاط مشروخ. سقوف مصفرة. صرير مفصلات الأبواب. شبابيك بأطُر مفكوكة تُسرِّب البرودة. ملاءات لا تهوَّى. بطاطين لا ترى الشمس. عفن خشب الدواليب. غسيل مكمكم. غسيل على المنشر لا يُلَم. مدفأة كهربائية تحتاج إلى التشحيم. مراوح سقف علاها التراب ثقيلة الحركة. الكراسي تئن. النمل يقتات على بقايا طعام مهمل على الأرض. مواعين متراكمة على هيئة تلٍّ في حوض صدئ. كل ذلك يُرى تحت ضوء لمبات موفرة للطاقة.

~

لا ينام كثيرًا فترة الامتحانات.

في غرفته، تتناثر الأوراق في كل ناحية، على المكتب، على الأرض، على السرير. يُدوِّن الملاحظات على كروت فسفورية ويلصقها على الجدران. لابتوب مفتوح طوال الوقت بمروحة تبريد عالية الصوت. يقلب في المراجع بحثًا عن أصل كل معلومة. تدخل عليه جدته بالمحمصات والمخبوزات والمشروبات والحلويات. تتركها وتخرج بلا كلمة. يُردِّد القوانين باستنتاجاتها وهو يتخيلها على هيئة خرائط ذهنية ممتلئة بالرموز. يتلوها على نفسه بشفتين ملطختين بالزيت والشوكولاتة.

عندما لا تتبقى مساحة في مخه لاستقبال معلومات جديدة، يستريح على الصوفا الواسعة لمدة تُقاس بدورة نوم واحدة. عندها تأتيه الكوابيس. اشترك في النادي ليتعلم مبادئ الانسياب في الطفو على الماء. في الحصة الأولى، اختبره المدرب وألقاه في البسين. فشل وغطس. ثقل الشحم اختفى. في الحلم، كان ذائب الدهون. حاول الطلوع بلا جدوى. بقي يستكشف تحت الماء. قدماه إلى الأعلى. رأسه إلى الأسفل. شعب مرجانية وطحالب ونجوم وردية. اقتربت منه سمكة بفم غليظ وأسنان متآكلة. قالت له بلغة الأسماك: وإنت هتعمل إيه بحياتك غير إنك هتعيش مبضون؟

استيقظ على صوت جدته تُصحِّح لمُريدة تلاوة خاطئة. أتى صوتها من بعيد كأنها تتحدث من داخل صندوق مملوء بالماء. دحرج نفسه من على الصوفا وسقط على السجادة. ظن أنه لا يزال يغرق. فُتِح الباب. سرى النور. قالت له: الشروق قرَّب والفجر هيفوتك. يلَّا اتوضَّى علشان ربنا يوفَّقك في الامتحان النهارده. أرسلت إليه قبلة في الهواء، ثم خرجت.

~

مُبرمَج. الشمس طلعت فتحرَّك.

فتح باب الحمام في منتصف الطرقة. رأى خنزيرة بتنورة كاروهات في منتصف قاعة رقص مضاءة بنور برتقالي. ظل واقفًا على عتبة الباب يتأمل. الأرض مغطاة بملح الوقاية من الحسد. في الركن، خنزؤور على أربع بقناع لاتيكس يمرمغ وجهه في طشت من طين. الخنزيرة ترقص على إيقاع أغاني المهرجانات كما الشبيحة. لما لاحظتْه، شخرت شخرة استغراب. رزع الباب.

في الضوء الشحيح بالطرقة، نظر حوله ليتأكد من موقعه في البيت. كشَط الحلم عن عينيه ليتيقن من مكانه في الواقع. استعاذ بالله من الشيطان وخبائثه. فتح الباب برفق. تلاشت الرؤية. دخل مُقدِّمًا قدمه اليسرى.

وقف أمام الحوض. رفع بطنه بيد فتدلَّت حمامته النائمة. باليد الأخرى، ضغط على مثانته، فتحرَّر السائل شفافًا. فتح الماء، فغُسِلت قطرات بوله. شطف عضوه. أرخى البطن فترهَّل.

في المرآة، كل مَعلم في وجهه منفوخ. عيناه ضيقتان داخل المحجرين كخندقين كساهما جفنان متورمان. لغد متصل مباشرة بالصدر. رؤوس سوداء على أنفه المفلطح كثقوب إبر. ثم يتكتل كل شيء آخر بلا تكوين واضح. صلصال غير مُشكَّل.

شغَّل الماكينة، فانطلق منها صوت كهربائي متذبذب. بدأ يحدد ذقنه. خفَّف الشعر عن أعلى الخدين. عن أسفل اللغد حيث يتجمع العرق. لكن تحديد الذقن لم يجعل شكله أحسن. السبب هو تشعُّث شعره البني عند جانبي رأسه. من الأعلى، شكَّل شعره موجة تتحرك من اليسار وتعلو ثم تهبط في اليمين. اتصل السالفان باللحية. فكر أنه سيستفيد من حلقة رأس جديدة ترسم ملامحه على نحو أفضل، عندها، سينحف وجهه بمقدار كيلوجرامين، ربما ثلاثة.

جلس على المرحاض السيراميكي. بقايا شعر ذقنه على الحوض وعلى تهدُّلاته. بيده سطلٌ من قطع الفراخ الكريسبي. يلتقط القطع المقرمشة بأطراف أصابعه الطويلة السميكة ويلقمها بفمه المعبأ. تدخل القطع

المقلية من فتحة وتخرج من أخرى.

اختبر حرارة الماء في البانيو بإصبعه. اطمأنَّ، فتمدد وطفا. لم تلمس مؤخرته قاع البانيو العميق. خضَّرت الرواسبُ الجيرية الماءَ. كان يردد المعادلات بترتيبها في المراجع بصوت غير مسموع. شفتاه تتحركان وصوته ينطلق إلى الداخل.

دخلت عليه جدته. حشرت في فمه قطعتي شوكولاتة. دعكت رأسه بالشامبو. دلَّكت جسمه بالرغاوي. يمضغ القطعتين الكبيرتين. تتجمع ريالة بنية عند جانبي فمه، تتساقط على لغده ومنه إلى صدره، ثم يهبط البني في الماء ليمتزج بالفقاقيع والخضار. أغلق عينيه، فرأى خنزيرة تدهس رأسًا بكعبها العالي. فتح عينيه من الرعب، فدخل فيهما الصابون. ساعدته في الخروج من حوض الاستحمام. نشَّفت جسده بمنشفتين. ألبسته قطعتي لباسه الداخلي. فتحت باب الدولاب المُخلَّع واختارت له من الملابس أدفأها على بنطال قماشي كحلي. جف شعره تمامًا الآن. وضعت الجدة قطرات من الزيت على يدها اليمنى، ثم مسحتها في شعره.

بقبضته، سندوتش آخر. يده على الدرابزين وهو يهبط. طقطق خشب السلم المتهالك. اليوم آخر أربعاء في الشهر.

أمام بوابة الجامعة الرئيسية، وقفوا في صف. كل طالب في دوره. اليد ممدودة بالكارنيه كقربان الطاعة.

لا يرى الطريق. لا يرى سوى رموز الاهتزاز الميكانيكي متجمعة على خلفية بيضاء. حفظت قدماه الطريق التي سار فيها ألف مرة نحو مبنى قسمه، ولا يحتاج أن يتابعها. مغناطيس يجذبه. راح يعيد المعادلات والقوانين وأفكار المسائل ويسترجعها. الهواء البارد يخبط وجهه.

مر على المطعم المركزي. حلم بالمطعم ثلاث مرات من قبل:

- هو مع صديقته الوهمية في الحلم. جلسا متقابلين في المطعم غير المُمحَّر. سقف من الصاج. ملمس الطوب والزلط في قدميه. لعقت عن وجهه الملح والعرق. يد تلعب في شعره الفاتح المقشر. يد تقفش بزَّيه المتهدلين. لحست الإطار الخارجي لأذنه. أنفاسها في خده. وشوشته: إنت دافي أوي. ثم ابتعد الوجه عنه كفاية لأن يظهر بجلاء فإذا به وجه خنزيرة بمبي. رجع إلى اليدين فوجدهما حافرين أماميين. القدمان حافران خلفيان. بمجرد أن التقت أعينهما، صدر عن حلق الخنزيرة صوت اشمئزاز. تقيأت عليه. كان قيئها بلون الكاسترد.

- كان وجه الخنزيرة مألوفًا أكثر في هذا المنام. المطعم مزحوم. تكلم فابتلع الصخب صوته. امتزجت أحاديث زبائن المطعم في اتحاد صوتي مُشفَّر. البدين مستعجل وخائف أن يفوته ميعاد. الخنزيرة تُقلِّب النظر بين الجالسين باستثنائه. أراد أن يقول: ادِّيني اهتمامك. أنا مستعجل. عايز أكلمك في حاجة. عيناه ملتهبتان والرؤية غبشاء. ركَّز وسط ضباب البصر ليكتشف أن الخنزيرة بلا أذنين.

- ظِلفُها في كفه. توسطت الطاولة فازة ورد. الأرضية مفروشة بنجيل صناعي. مقطع بيانو حزين يتكرر في الخلفية. قال لها: اسمعيني. صحيت من كام يوم حسيت إني مش حقيقي. فرَد كفه الحرة وتأمَّلها: كإن دي مش إيدي. كإني محبوس في حلم حد تاني ما أعرفوش. اكتشفت إنها حالة اسمها على ويكيبيديا *derealization*. مرِّيتي بحاجة مشابهة قبل كدا يا حلوفتي؟ طوحت رأسها يمينًا ويسارًا في حركة نفي. أفلت حافرها المشقوق. دعك عينيه: دكتورة السنان قالت لي في الحلم اللي قبلك إني كويس بس الألم ما اتسكِّنش. اغرورقت عينا الخنزيرة بدموع التعاطف. بصوت ملأته الشفقة، خنخنتْ.

لا يتذكر البدين أيًّا من الأحلام السابقة. لم تُثِر رؤية المطعم المركزي في نفسه شيئًا عندما مر عليه. ترسبت صورة الخنزيرة في القاع. ولما رآها ذلك الصباح ترقص عقباوي في قاعة رقص سرية بالبيت، لم يعرفها.

~

تحلَّقوا من حوله بمجرد أن دخل المدرج. مسيح مخلص يلهث بنفس ثقيل.

يطنُّون: يا أسطى هتغشِّشنا؟ يا أسطى ما تنساناش علشان مش عارفين أي حاجة. يا أسطى. يا باشمهندس. ظل يكرر: إن شاء الله. إن شاء الله. ما تقلقوش. ما تقلقوش. ادعوا لي بس. ادعوا لي بس. دخل المراقبون وفي ذيلهم رئيس اللجنة. وزَّعوا الورق. أخذ نفسًا عميقا كأنه يتأهب لجماع عنيف. بدأ يحل.

انتصف الوقت. دخل رجل بلحية مشعثة وشعر خفيف انحسر خطه الأمامي، وبنطلون كشمير أبيض بالٍ وملطخ، ومعطف زيتي مُترَّب على قميص ارتسمت عليه أشكال مربعة. طلع سُلَّمات المدرج باحثًا عن مكانه. اقترب منه مراقب وسأله: إنت معانا هنا؟ رد بصوت شاحب: آه. قال الآخر: وإيه اللي جايبك متأخر كدا؟ رد: عندي اكتئاب. عندها، ترك الجميع الحل. أشاروا إليه بذقونهم وأصابعهم وأقلامهم، وتحررت ضحكاتهم

مجلجلة عبر طوابق اللهاة. الوجوه مبسوطة على الآخر، كاشفين عن أسنان بيضاء وألسنة حمراء ولثى وردية.

حرك السيرك الضاجُّ معدته. غثيانه على طرف الحلق. حاول كبته فخرجت قطراته من أنفه حارقة. مر المعيد من يساره. أوقفه: لو سمحت. قال: حمَّام. رد: مفيش حمَّامات بعد نص الوقت. قال: حمَّام. ضروري. أجابه: وإنت ليه ما دخلتش قبل الامتحان؟ غطَّى فمه بكفه. قال: مش هعرف أشرح. حالة طارئة. رد: مفيش حمَّامات بعد نص الوقت. لم يندَّ عن صفحة وجهه أبسط معالم الشفقة. نادى على رئيس اللجنة الجالس بأسفل المدرج: دكتور. لو سمحت. حمَّام. ضروري. طلعت تجشؤاته مع توسلاته. أعاصير ملولبة. استوضح رئيس اللجنة: إيه يابني؟ مش سامعك. لو فتح فمه الآن لفرَّغ بطنه. رد طالب أقرب: يا دكتور بيقول لك إنه محتاج يخشّ الحمَّام ضروري بعد إذن حضرتك. قال: موبايلك مقفول وفي الشنطة. ورقة إجابتك مقفولة ومقلوبة على ضهرها ومحفظتك فوقيها. معاك سبع دقايق. لو اتأخَّرت ملكش امتحان.

~

الطرقة طويلة. المراحيض في آخرها.

دوَّت خطواته. كل لظاليظه ترتج. فتح باب أول حمَّام.

وجده مبعثرًا بإسهال أسود ثقيل متكوم لم يُشطَف. على القعدة، صُفَّت مناديل في دائرة. الأرض مطينة انتثرت عليها أعقاب السجائر والكارتيلات. كتم أنفه. حاول الخروج، لكن الغثيان قوي. انحنى على أقصى استطاعة بدنه. تقيأ مغلق العينين. طعم القيء كان غريبًا في فمه. حبري ومائي.

ويده على السيفون، لمح تحت الضوء المرتعش الإفرازات المختلطة في القاع. اكتشف أنه تقيأ أرقامًا. تقيأ علامة الجمع. تقيأ علامة الطرح. تقيأ علامة الضرب. تقيأ علامة القسمة. تقيأ مهارات الحساب الأساسية التي تلقَّنها في الابتدائية. تقيأ رمز الشد. تقيأ رمز الضغط. تقيأ معادلات الاهتزاز الميكانيكي التي حشرها في دماغه طوال التِّرم. سحب يده من على السيفون. حاول أن يجمع الرموز والعلامات والأرقام من القعر. ابتهل بصوت مختنق: يا رب لأ. يا رب بلاش. يا رب علشان خاطري طيب. همَّ بوضعها في فمه فانساب الحبر بين أصابعه واختفت الإشارات. علق بيديه خراء شخص غريب. اختفت كل المعلومات وتحولت إلى مجرد أحبار سوداء تنثال. استفرغ المادة بالكامل قبل أن ينهي الامتحان.

رجع إلى المدرج.

كان رئيس اللجنة يشخط فيمن تحجَّج باكتئابه على التأخر. يهدده بمحضر شغب إن لم يمضِ على محضر الغش. اكتشف أنه مبرشم القوانين والثوابت الرياضية على غطاء الآلة الحاسبة بخط صغير وأنيق. محضر الشغب سيجعل المكتئب يقضي بقية حياته في الكلية. هدَّده الدكتور بتعميق اكتئابه إن لم يوقع على المحضر. كانت لحيته الكثيفة تهتز باهتزازات وجهه. يعتذر مخبئًا عينيه من وراء يديه كالمفضوح.

عاد البدين إلى البنش. فتح ورقته، ليجد أن كل ما خطَّه استحال شفرات ملغزة. ما من شكل واحد في صفحة مخه ليكتبه. أخذ ينقر ركبتيه بأصابعه في توتر. تقيأ مفاتيح كل الرموز. نقَّب في ذهنه عن أي معلومة. الأصوات تهمس من حوله: يا أسطى ورقتي فاضية. يا باشمهندس. تفقد الهمسات صبرها: يا بغل هات أي حاجة. إنت يا متناك. لا يعرف حتى مسميات الرموز لينقلها إليهم. وصل السباب إلى أمه الميتة.

بتسليم الفاشل، سلَّم ورقته. انسحب خارجًا.

~

بدت الأرض مفروشة بأحزان باهتة.

عاوده الألم يبري أسنانه واشتد. وجوه مبتسمة

ابتسامات واسعة. خنزيرة تبيع المناديل على الرصيف غمزت له. الكل يتحرك في جماعات. تصوَّر المشهد: آسف يا تيتة. بطني كانت مقلوبة. رجَّعت كل اللي ذاكرته. آخري هجيب فيها جيد. تخيل عينيها. تبصق عليه. تخبره أنه لا يستحق كل المال الذي يُصرَف على كرشه. وجهها الطيب. أصابعها النحيلة. عباءتها السوداء الواسعة. لا تتغير. لا تتسخ. يسير الناس بسرعة منكمشين، كأنهم يفرُّون من عاصفة. كل الملامح علتها ابتسامات سمجة. تلميحات ساخرة من وجوده. الكل ينظر إليه من فوق. لا أحد يعرفه. بدين يُفضَّل من رخاوته ثلاثة أشخاص. بلا اسم. فاشل بتقدير جيد في مادة الاهتزازات الميكانيكية.

~

رسم السيناريوهات لما فتح البوابة ودخل. كل سيناريو برد فعل مختلف.

حلم مرة بواجهة البيت. الشبابيك في الواجهة متساوية الأبعاد. انعكاس الأضواء الصفراء عليها من الداخل جعلها كأعين منتشرة على وجه إسمنتي يتطاير منها الغضب. البوابة فم مفتوح. السلالم لسان متدلٍّ. حاول تجنب النظر إلى الواجهة داخلًا إلى البيت أو خارجًا منه. ذلك البيت هو الكائن الذي ابتلعه في الحلم.

رتَّب الكلام واستعد. لم يجد جدته في الصالة. نادى عليها. رحل النداء ثم ارتد إليه في البيت الواسع. دخل المطبخ. علَّقت على الثلاجة رسالة تحت ورقة أدعية الصباح، مفادها أنها خرجت لشراء احتياجات البيت. تركت له تصبيرة على ما ترجع. وقَّعت: جدتك الحبيبة.

فكَّر في ما سيقول. بينما يتخيل رد الفعل، أجهز على حلة محشي مع ثلاث قطع مستطيلة من البشاميل. راقب تشققات الحائط وهو يمضغ. آسف يا تيتة أنا فاشل. بدأ يبكي. دموع ومخاط ولعاب أصفر يتساقط غصبًا عن فيه. غطت السوائل ذقنه ولغده وأرديته الدافئة. مسح عينيه بطرف كمه. فتح الثلاجة. ختم تصبيرته بالتحلية. عبَّ لترين من الحليب. تصوَّر شكل عقابها. تكفُّ عن الكلام معه. تكفُّ عن تحميمه. تكفُّ عن دعوته إلى الصلاة. تُجوِّعه في دايت قسري. تهجره. تطرده. ثم تطفر الدموع من جديد.

دخل المرحاض ليغسل نفسه. قرر أن يتوضأ لعل قلبه يطمئن. تمضمض ثلاثًا. تكرَّع لعابًا أصفر كثيفًا. تنشَّق الماء فانطلق الجشاء أقوى. غثت نفسه. ارتكز بيديه على الحوض. على مشارف التقيؤ. انتظر تفريغ معدته. هواء كل ما خرج. لم يعد في جوفه معلومات لتُلفَظ. يداه على حافة الحوض. تسرَّب إلى سمعه خرير المياه تتحرك في المواسير خلف الحيطان.

ارتقى السلالم بخفة لم يُتِحها جسده من قبل.

نفض الأوراق عن سريره. انسدح بالعرق واللعاب والمخاط والدموع وبقايا الأكل على مرتبة هابطة أعلى عروق خشب تتهاوى. ظلام وصمت كالح. بدأ يحلم. هو في فيلم. هو نجم الفيلم.

قلق وفتح عينيه. رأى جسدًا حُدِّدت أبعاده في الظلام يقف أمام سريره. سأل: تيتة! إنتي جيتي؟ ولج الظل أذنه في ثانية إلا ثانية. قال: كمِّل نوم. ثم فرَّ. شدَّ لحافه وحاول الرجوع إلى السبات. سوائل حمضية في فمه. قلبه يضرب صدره من الداخل. عاد يحلم. عينا الجدة في الحلم لم تجفَّا من خيبة الأمل. تصدعات البيت التأمت. تقلَّب على سريره، فمالت الدهون معه متأرجحة.

في تلك الليلة، بكيلوجراماته المئة والتسعين، أمسى البدين حلمًا. بالصداع الذي دمَّر قذاله. بنهيجه. بالوعاء الذي صُبَّ فيه. بشعره غير المقصوص. بلحيته السيئة التحديد.

ما يبلي أسنانه سُكِّن جيدًا الآن.

ما قاله الحائط

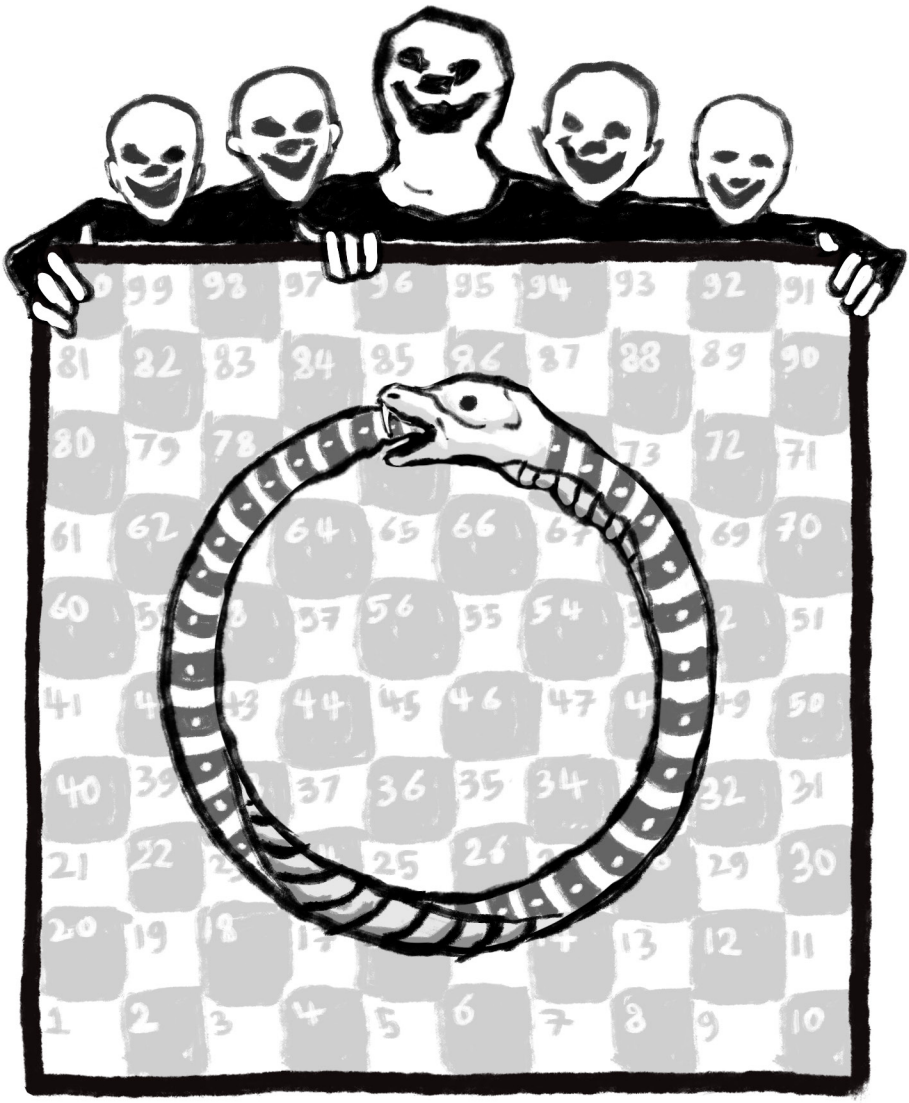

ما قاله الحائط

أنَّت الألواح الخشبية على الأرض مع كل خطوة. على جانبي الطُّرقة، تجاورت أبواب مواربة، امتدت منها أذرع مفرودة الأيادي. كانت للأيادي أفواه، وكانت الأفواه تستعطفني: اختَرني.

~

آخر ما أتذكره هو أني كنت جالسًا معصوب العينين، مُكبَّل اليدين، في غرفة الاستقبال، والموظف، بلهجة رسمية، يسألني عن بياناتي: الحالة الاجتماعية، السن، رقم الهاتف، العنوان، الطول، الوزن. سألني عن وظيفتي، فأجبته: أنا مهندس سوفتوير، بس مش مُخوَّل ليَّا إني أتكلم عن شغلي، أنا تابع لمنظمة حكومية سرية.

سمعت صوت احتكاك سن قلم بورقة، درجًا يُفتَح، حفيف أوراق تُجمَع، ثم درجًا يُغلَق. رفست قدمي إلى الأمام، فاصطدمت بحائط مُحزَّز من الألوميتال. ثم سمعته: إحنا آسفين على كل حاجة، بس هي دي التعليمات يا فندم، وإن شاء الله تكون مبسوط معانا.

~

ثم ما الذي حدث بعدها؟ كيف وجدتني فجأة أعتلي سلمًا من الذهب وصَّلني إلى طُرقة سطحها من الخشب تستنجد بي فيها الأيادي؟

~

تجاهلت نداءات الكفوف، واستكملت السير، إلى أن استوقفني باب مكتوب عليه بكابلات مضاءة بأنوار الليد: «هلم وانظر». دخلت ونظرت. رأيت حصانًا أمهق في منتصف غرفة بيضاء. انغلق الباب من خلفي وذاب في الجدار. صهل الحصان: ما تخافش، إنت مش لوحدك، بُص على الحيطة. الملصق على الجدار يقول: «أول خطوة إنك تكتب».

على حَقْوَيَّ مئزر من وبر الجمل يخفي سوءتي. الحوائط مكسوة بطبقة من الجرانيت والأرضية رخام.

التفتُّ إلى الحصان: إزاي أكتب وأنا معنديش اللغة؟ صهل الحصان: ما تخافش، إنت مش لوحدك، بُص على الحيطة. تحول الملصق على الجدار إلى عين تقول: «إنت متشاف».

~

أكتب تلك الكلمات مستخدمًا لابتوب أبيض غير متصل بالإنترنت، على مكتب من اللون نفسه، جالسًا على مقعد بمخدة لإراحة رقبتي. الحصان خلفي يصهل كل

عشرين دقيقة. حُذِفت من الجهاز كل وسائل الترفيه. لم يتبقَّ عليه إلا تطبيق الكتابة الذي أستخدمه الآن، مُسوِّدًا عذرية صفحاته البيضاء. الملصق على الجدار أخبرني أن أول خطوة لترميم العطب هي الكتابة، حتى إن لم أمتلك اللغة.

اسمي نجم، وتلك هي حكايتي مع فضة وخطيبها القزم عرفات.

١

بعدما تصالحنا، تقابلنا في جنينة جميلة أسميتها حديقة فردوسي الضائع. كانت ترتدي بلوزة حمراء من قماش خشن، انتشرت عليها دوائر بيضاء. جلست متكئًا على راحة يدي اليسرى. الأطفال يلعبون حولنا وأهاليهم يراقبونهم على الدِّكك. فوقنا، ارتسمت سحابة على شكل مظلة. ترددت قليلًا، ولكني، في النهاية، قلت وأنا أتلمس العشب المُندَّى: اليومين اللي فاتوا كانوا وحشين أوي من غيرك، كنت عايش أسترجع في اللي فات. عيناي في عينيها: كنت كل يوم الصبح أصحى أجري على الموبايل على أمل إني ألاقي رسالة منك، كنت فاكر إني خسرتك للأبد.

أتت أشعة الشمس من ورائي وأنارت هيئتها. وجهها في تكوينه أقرب إلى جوهرة. شعرها ملفوف بتوربان أسود

وإن تحررت بعض خصلاته. لاحظت لأول مرة شعرات تخرج من الوحمة، التي أحببتها كثيرًا، على جبهتها التي غزتها الفسافيس، فانتابني نفور مفاجئ. عدت إلى العينين. قالت: ما تطلبش مني إني أمشي تاني. في فتحة ثغرها، رأيت نهرًا من العسل ووردًا بيضاء تتفتح. تأملت مثلث الظل على أنفها الصقري مليًّا، ورسمت على وجهي أوسع ابتسامة: وحشتيني.

~

في المطعم، فصلت بيننا طاولة مستطيلة. أخبرتها أن خطيبها ظهر لي بالمصادفة في اقتراحات الصداقة على فيسبوك من كام يوم: اسمه عرفات، مش كدا؟ أومأت إيجابًا. كان قزمًا بأنف مجدوع، نحيف ومسلوع، بلا رقبة، برأس ضخم مكور، وأطراف غير متناسقة الأبعاد. أخبرتني أنه أُصيب بالروماتويد أو حاجة شبه كدا في طفولته. أمسكت يدها ورصدت العروق الخضراء والأظافر المطلية بالوردي، ودبلة الخطوبة في البنصر. سألتها: بتحبيه؟ فردَّت: إنت عارف إن دا مش اختياري وإني بس بجاري أهلي وبحاول أجيب آخر الموضوع، أنا عمري ما هتجوِّز أمين معمل. امتد الصمت، بين الفكرة والتعبير، قبعت حياة كاملة.

وضعت يدها على خدها وهي تلعب في المنفضة

النحاسية: صعبة أوي الحياة دي. سألتها: حياة إيه؟ لكزت الطاولة: الحياة دي.

كالعادة، لم أدعها تشاركني دفع الفاتورة.

~

في الصالون، أراحت قدمها على طاولة صغيرة، فانحسرت چيبتها. قالت: إنت إزاي ما تقولّيش كل دا إنك عندك بيت في زايد؟

طبعًا لم أخبرها أننا في بيت صديق لي، تطوع أن يعرص عليّ، فبيتي الواقع في شرق الدلتا كان بعيدًا جدًّا عنها، وصاحبتها مستحيل أن تستضيفنا من جديد في مسكنها بعد أن تخاصمتا بسببي. هززت كتفيَّ ولم أرد. كانت مستريحة تماما في جلستها كأنها ممددة على مرتبة مائية، كأن البيت بيتها دون الحاجة إلى مِحْرِم. كدت أنكشها: مش هنقلع الحجاب بقى؟ لكنها باغتتني.

~

بعد قبلة بلا طعم من شفتيها المتيبستين، ظللت أحدق في جسدها، الذي خلعت عنه كل سترته باستثناء البانتي، كمراهق في السادسة عشر. رسمت، بقلم ماركر أسود، اسمي على بزها الأيمن، وتاريخ اليوم على الأيسر. نظرتْ مباشرة إلى كاميرا موبايلي، والتقطتُ صورة. تحاشيت أن ننتقل إلى أي من الغرف، لأنها خلت من

الأسرَّة، ولم أكن لأستطيع تفسير السبب.

هائج على الآخر. زُبري حديد، ويتعسر عليّ إبقاؤه وقتًا أطول في بنطالي الكارجو. قلت مشيرًا إلى الوحمة على جبهتها: عايزة تشوفي الوحمة بتاعتي؟ هزت رأسها. نزلتْ على ركبتيها، أخرجتْ لسانها وحركته في الهواء دلالة على اللهفة. عتقتُ عضوي من ضغط سحَّاب البنطلون، والبوكسر الذي بللته استثارتي في عدة مواضع، فاهتز خارجًا كالزنبرك. لفَّت يديها حوله، فأدركت أنه لا يحتاج إلى محفزات أكثر، لحست الوحمة الداكنة على الرأس بلسان بارد، ثم شرعت في التهامه، من القمة إلى الجذر. تلفتُّ حولي لأتأكد أن كل الشبابيك مقفلة والستائر مسدلة. باكرًا، قبل أن تأتي، غطَّيت كل المرايا حتى لا أرى عليها انعكاسي. شعرت بأسنانها تضغط على جسم ذكري برقة.

~

لاهثًا، سألتها: وحَشك؟

كشفت عن أسنان ناصعة البياض، وهي تحاذيه بخدها الأسيل: أوي.

~

لا شعور آخر يضاهي ذلك الشعور. وددت لو أُثبِّت تلك اللحظة إلى الأبد، أطويها وأحتفظ بها في جيبي، أبروزها

على حائط الشرف في حجرتي، ألا تنتهي قبل أن أستنزف كل ما فيها من لذة. لكن ما سيحدث في المقاطع التالية علَّمني أن الأمور لا تسير دومًا كما نهوى. أخرجته من فمها، خيط رفيع من المذي وصل فتحة بتاعي بلسانها. رفعت عينيها: المسكين مش قادر يمسك نفسه؟

~

صفعتها مرتين. لزقت وجهها بالجدار وقلت لها: يا شرموطتي. تحسست البثور على جانبي لحم فخذيها الوردي في أسود، ارتجت وسرت في جلدها قشعريرة، ورأيت في إيماءاتها دعوة إلى التمادي، فغرزت أصابعي في البانتي المخضل. شهقت: بلاش. قلت: ليه كدا؟ أنا هفرَّش بس. قاومتني بالتمنع ذاته: بلاش علشان كان عندي البيريود وفيه دم لسه وحاجة قذرة. سحبت يدي تلقائيًا: خلينا في المص، المص حلو ما تنكرش.

قرصت حلمتها، الترمسة، وفي أذنها، همست: حاسَّة بإيه؟

ثم خبطني كرينچ مفاجئ من كلماتي، إثر وعي مفاجئ بالموقف، وشعرت بعين تراقبني من بعيد، تراني ولا أراها.

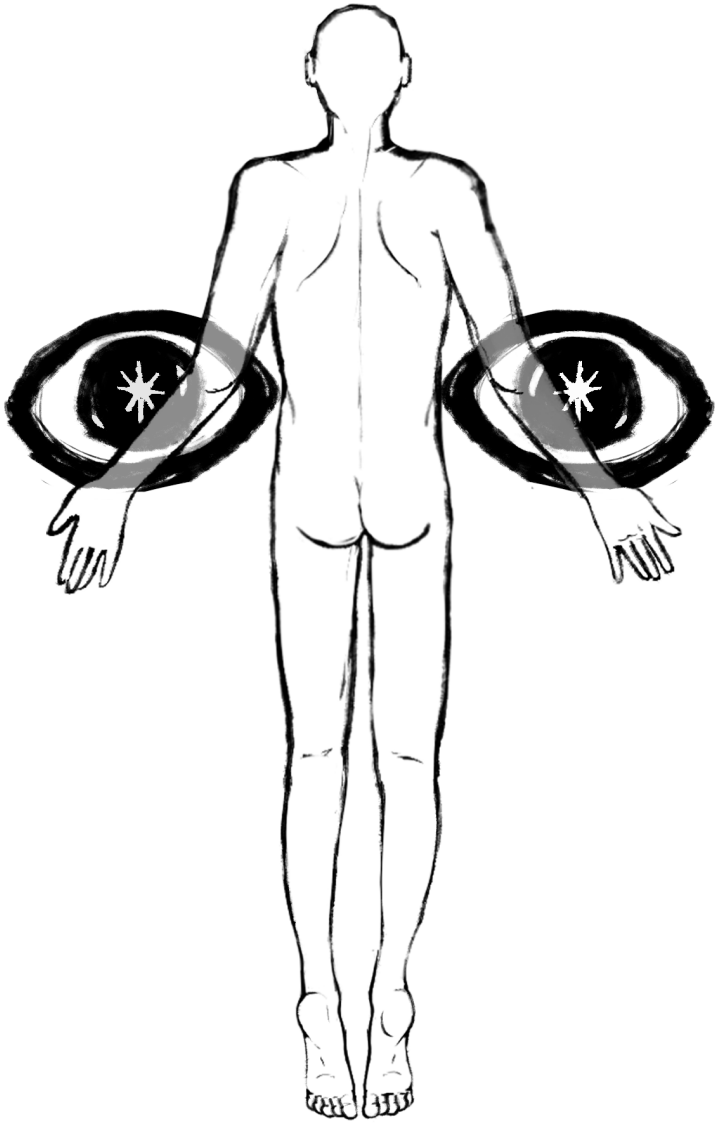

تفصد العرق من مسامها، فساح الماركر الأسود على صدرها. فشل البلاستيك، الذي غلَّف ورق الحائط، في عزل صهيد أواخر يونيو، وغدا الحر لا يُطاق. نشع تيشرتي ماءً، فخلعته. لعابها في كل مكان. وقفت أنهج لا أتحرك. نفضت الكرينچ وهاجس العين المراقبة عن دماغي المزبلة، وركَّزت بصري على حشفتي الوارمة، الملطخة بطلاء شفتيها البنفسجي، حائرًا في أمر الخطوة الآتية، وقد سُدَّت طرق نصفها التحتاني.

~

دفست رأسها بين فخذيَّ من جديد. شعرها يتناثر مع حركات رأسها في إيقاع ثابت، يغطي وجهها ويدغدغ عانتي الحليقة. أعطتني يدها، فأخذتها بينما أبو وحمة لا يزال في فمها، وشرعت ببطء أسحب الدبلة من بنصرها.

~

خرجت من الحمام مطفأة المفاتن. لم أستطع أن أقرأ أيًّا من أفكارها على صفحة وجهها غير المُعبِّر، إلا أنها بدت حاسمة لأمرها، عازمة على الرحيل. أمسكت زندها محاولًا فهم ما يجري، فصفعت ظهر كفي. سألتها: بجد هتمشي قبل ما أجيبهم؟

أخذت حقيبتها من على الطاولة، ثم اتجهت نحو الباب، فركضت محاولًا أن أسبقها، لأحول بينها وبين

الخروج. لكن بمجرد أن انكشفت فرجة تسع جسمها، انسلَّت منها مهرولة كعِرسة.

فكرت أن أتبعها، لكني خشيت أن يسمعنا الجيران، ويتحول الموضوع إلى فضيحة، فأغلقت الباب. على الأريكة، رِمش نسيتْه.

~

فاتني أن المرآة، المنتصبة في منتصف الصالون، بوجهين، إذ وجدتني فجأة أحدق في انعكاس جسمي العاري على غير رغبة مني. امتلكت صدرًا عريضًا ومُقسَّمًا، وبطنًا مُعضَّلًا، وظهرًا مفرودًا. على النقيض، ذراعاي كخلَّتين، وساقاي كرجلَي فرخة.

رفعت بنطلوني. بجسد كخيال المآتة، وبضان زرقاء، جلست منثنيًا على مقعد مُذهَّب. تدحرجت قطرة عرق على أنفي الأفطس.

أطفأت عينيَّ، ودارت في خيالي الرؤى.

~

بدافع الكبرياء، لم أتحدث معها أسبوعًا. كابدت في ذلك مشقة، فدفنت نفسي في العمل. أسجل حضوري التاسعة صباحًا على قاعدة البيانات. أبدأ كتابة الأكواد وأرمم أعطاب البرامج على الكمبيوتر في غرفتي، وأسجل انصرافي السادسة مساءً. إلى أن أرسلت إليَّ في صباح تخبرني أنها عزمت على الزواج بعرفات، حب حياتها.

قالت لي إن واقعة الدبلة عرَّفتها أخيرًا أيَّ شخص أحسبها، وإنها ممتنة للألم لأنه فتح عينيها وأفاقها من الغيبوبة وأنضب الأوكسيتوسين من غددها. لم تترك لي فرصة للرد أو العتاب، حظرتني على المواقع وأحرقت كل كباري العودة.

٢

سيَّح الاصطفَّاية، ثم فركها مع التبغ على سوليفانة. لف ثلاث چوبَّات رفيعة. ألح عليَّ لأصطبح معه، ورضخت. خلطة الكيتامين كانت قوية، فهدَّتني الدماغ وتلونت شاشة بصري بالأخضر.

عبقت السيارة بالدخان. فتحت الزجاج قليلًا، فخرج وطفا على الهواء، مشكلًا شبورة صغيرة. قال لي: كان شكلك مبضون شوية وإنت بتديني المفتاح وما رضيتش أسألك علشان ما كناش لوحدنا. عملت إيه؟ سبع ولا ضبع؟

رويت عليه الحكاية كلها، خناقتنا في المول، ومصالحتي لها في حديقة الفردوس، ومقابلتنا في المطعم، ثم واقعة الدبلة: الموضوع بس صعب شوية إنك تبقى بتنيك واحدة كل ما تبص على إيدها تفتكر إنها ملك حد تاني، قزم ابن شرموطة أمين معمل. استدركت: لكن لو كنت أعرف إن الحركة دي هتقلب الدنيا كدا طبعًا ما كنتش عملتها.

قال لي: بصراحة .. إنت غلطان. سلَّك حلقه قبل أن يضيف: كان المفروض تضربها وتنيكها. ثم انفجر ضاحكًا حتى فرغ الهواء من رئتيه، وشرع يسعل بعنف. لوهلة، رأيت عينًا تراقبني في فتحة فمه. سحب منديلين من على التابلوه، طبَّق أحدهما على الآخر، وبصق فيهما البلغم. نفضت الأخضر الذي كدَّر شاشة بصري وهاجس العين المراقبة عن دماغي المزبلة، وضحكت على ضحكه.

~

قلَّبت الجملة في ذهني. فكرت في عقل بالي: اضربها ونيكها. صح. تاهت عني إزاي دي؟

~

واساني بكلمات كثيرة، صُبَّت في مخي وانسكبت. أومأت على كل كلمة ووافقته دون وعي. في طريق العودة، ساق كمجنون. أكلنا المطبات ودُخت. حاولت إزاحة سطلة البوابين عن عقلي بإحصاء عواميد الإنارة والمسامير الفسفورية المدكوكة في الإسفلت.

~

تحت بيتي، قلت له: أصعب جزء في الموضوع لما تبقى محتاج تقضي وقت لطيف مع حد، يمكن علشان كدا بتوحشني.

انفكَّ صوتي عني، واستقل بكيانه.

ربَّت على كتفي وقال: أنا موجود علشانك في أي وقت.

بعين مزغللة تحت جفن كسلان، رأيته يتحدث دون أن تتحرك شفتاه.

تمددت على السرير بملابس الخروج، وفكرت: فعلًا، أنا أكبر من أي حاجة. عندي خمسة وعشرين سنة، مهندس طموح وخلَّاق. شاب مهاراتي كتير. CV تتمناه أكبر شركات مجالي، وبشتغل من بيتي لصالح منظمة حكومية سرية وبقبض بالدولار. الدولة مستحيل تقدر تعوضني، أنا جامد نيك، أنا ثروة قومية. إزاي أزعل علشان مدرسة إنجليزي سابتني؟

لكن كل استنتاجاتي المطمئنة تبددت ما إن استيقظت وحيدًا وتبخَّرت بقايا الدماغ.

٣

شعرت بنصال في قلبي بينما أُقلِّب في عريها المفضوح على شاشة الموبايل. الآن وقد تناءى جمالها عني. جمَّعت كل ما عندي لها من نودز ورفعتها على جوجل درايف. نسخت الرابط وأرسلته إلى القزم عرفات على ماسنجر: «خطيبتك 🔥».

بعدها بساعة، أرسل إليَّ أنه عرف عنواني وأن أنتظره لأنه سيأتي لينيكني. كتبت له: هتعرف؟ فأرسل لي مقطعًا مدته خمس عشرة ثانية لشلة زادهم الله في خلقهم بسطة، عيال مقطعين بطايقهم، توزعت على وجوههم ندوب مختلفة الأحجام والأشكال. أشعة تنطلق من عيونهم، تخترقني عبر الموبايل. كانوا يُلوِّحون بالحديد في وجه الكاميرا، ويسبُّون لي الدين بألسنة معوجة. كتب: يمكن أنا قصير وما أعرفش، بس دول يعرفوا. شلَّ توتر استمر للحظات تفكيري. نفضت التوتر وهاجس الأعين المراقبة عن دماغي المزبلة، قبل أن أستعيد الثقة من جديد. احتميت بخلفية عائلتي الشرطية، ومركز عمي الحكومي. ردَّ: كس أمك على كس أم عمك. فأرسلت إليه صورة أبو وحمة المُدلَّى بين نهري السوستة: شد في دا. فردَّ عليَّ بالبلوك.

~

لم ينفذ إلى مشاعري التهديد، بل شعرت بانتصار تجلى على هيئة ابتسامة لم تفارق وجهي.

~

كنت عائدًا إلى المنزل ممسكًا بأكياس تحتوي على أغراض من السوبر ماركت. لفت انتباهي جرافيتي مرشوش على الحائط المجاور لبوابة العمارة، لكن النور

شحيح. أفلتُّ كيسًا، أخرجت الموبايل وفتحت الفلاش، فظهرت الكلمات سوداء: «يا نجم أمك مدفع رشاش، كسها خزنة فاضية وعشراتي هي الرصاص». عندها، أدركت أن الأعداء اخترقوا دائرتي، وأن في وسعهم الفتك بي في أي لحظة. رميت كل الأغراض، وهرولت على السلم خوفًا أن يكونوا قد عبثوا بكابلات المصعد. أغلقت باب المنزل بالمفتاح والترباس من الداخل.

~

خابت كل مساعي الوصول إلى عمي، موبايله مغلق دائمًا، ولدواعٍ أمنية، لا يستخدم الإنترنت.

فكرت أن أخبر مسؤول التواصل في عملي عن التهديدات التي وصلتني، لكني قلقت أن تؤثر الدراما، التي ورطت نفسي فيها، على مركزي الحساس. غير كدا، أي وساطة حكومية تلك التي تنفع في قضايا الشرف؟

~

ظل عقلي مشغولًا طوال ساعات العمل في الأيام التالية، خائفًا أن يغتالوني برصاصة تخترق شباك الغرفة المطل على الشارع. نقلت عدة الشغل إلى غرفة أخرى بلا شبابيك. عشت على مخزون من التونة المعلبة حفظتها في كراتين بالغرفة، وعندما دخَّنت كل ما عندي من سوائل تبخير لسيجارتي الإلكترونية، تعاملت مع أعراض انسحاب النيكوتين بتمارين رياضية خفيفة.

لأني متأكد أنهم رشَوْه، لم أعد ألبي ضغطات البواب على الجرس في ساعة جمع القمامة. كوَّمتها في الركن.

في الليل، كنت أنام بعين مفتوحة، مثبتة على الباب، كسمكة قرش، بنصف عقل، وإصبعي على زناد مسدس وهمي تحت مخدتي.

٤

بعد ساعات العمل، أدخل الوحش. الوحش تطبيق أصفر اسمه سناب شات. أضفت الأكونتات عشوائيًّا من خانة الـ*Quick Adds*. بمجرد أن يقبلن طلب الإضافة، يرسلن إليَّ رسالة بالعروض والأسعار. أُحوِّل المال، أوصل الموبايل بالتلفزيون، فتبدأ الصور تتحرك على شاشة ٧٥ بوصة.

فتاة أسترالية في الثامنة عشرة سألتني، بعدما رأت صورتي، عن سبب لجوئي إلى السكس الإلكتروني المدفوع الأجر: أغلب اللي بيكلموني عندهم أزمة منتصف العمر وبكروش.

مُداريًا كسوفي، أجبتها: السبب فتاة طولها ١٦٥ سم، وتكبرني بعامين. علمتني معنى التعلق والهجر، وحوِّلتني من مهندس برمجيات محترم لذكر جريح.

كتبتْ: يا عيني يابني 😢.

كتبتُ: ؟

ردت: ولا حاجة. عندك *PayPal*؟

أرسلت إليَّ العروض، واخترتُ منها الأنسب.

~

فتحتُ الكاميرا، فظهرت جالسًا على الليزي بوي، عاري الجذع، مرتديًا نظارة شمس. مكتب الشغل يميني، تناثر عليه حول الكمبيوتر علبة من مسحوق الكرياتين، وكيس مناديل، وسماعة بمايك، ومحفظة مغناطيسية، وزجاجة عطر شفافة. يساري، فراشي غير المرتب. خلفي، تكييف قابل للنقل. الحائط أبيض وباب الحجرة أسود، وفي السقف، مصابيح الهالوچين تشتعل مضفية على المشهد سخونة.

~

تتحرك الصور على شاشتي. أُردِّد بين لهثاتي: *that's so hot, keep doing that for me, I'm gonna cum.*

~

لكن الملكة دانا تمنعني عن القذف. انصعت، فشعرت بالمني يرتد. بصقتْ على عدسة الكاميرا، التي هي وجهي. جسمي كله ليس سوى كرة من السكر تبلعها،

تمتص ماءها ثم تلفظها. أمرتني ألا أتوقف عن الدعك، لكن ببطء، ليس مسموحًا لي بأن أَجيبهم بعد. قربتْ أصابعها من عدسة الكاميرا، التي هي أنفي تلك المرة، آمرة إياي أن أتشممها. ورغم المسافة، وصلت إليَّ الرائحة عبر أمواج لا تُرى.

~

شعرت بنقطة اللاعودة تأزف، أخبرتها أني لا أستطيع أن أُمسِك لوقت أطول، فردَّت: *it's okay*. وبدأت العد التنازلي من عشرة.

اقتربت من الكاميرا، وفتحت فمها عن آخره. لم أرغب في أن أقذف على بطني، فمددت ذراعي محاولًا الوصول إلى البوكسر الملقى على السجادة الأكليريك، وتأرجح معي الليزي بوي. التقطته، وتشربت ملمسه القطني. بذلت كل جهدي لأحول النسيج في يدي إلى جلد بشري وفشلت. الفم المفتوح على أقصى سعة يملأ بيكسلات البوصات الخمسة والسبعين الآن. الفك، الذقن المنقورة، الشفة المطلية بلميع، اللسان اللعوب، سقف الحلق، البلعوم، اللهاة، حتى مبتدأ الحنجرة. حاولت مرة أخرى، بلا نفع.

لذلك أغضمت عينيَّ، وإذا بي ممدد أعلى سحابة حليبية ارتسمت على شكل مظلة، وذكري داخل جسد لا

أتبين وجهه، لكني حدست أنها فضة. حاولت أن أخرج منها، فشعرت بأبي وحمة يتمزق. لعابها في كل مكان، الضباب مستفحل، وصوت من بعيد ينهج: *you can do it, baby*. أخذت أنزح الضباب بيدي محاولًا، بيأس، الوصول إلى وجهها.. وجهها.

~

في البوكسر، عشَّرت، لم أنطر الكثير.

~

فجأة، بدت الشاشة أبعد. خمد النهيج لصالح طنين في أذني يعلو بالتدريج. انصهر جلد الليزي بوي الملتصق بإليتي إلى سائل دهني دافئ، ثم انفتح عن ثقب أسود يسحبني في دوامة. تشبثت بالمسند مقاومًا، لكن قوة الجذب هزمتني. انتقلت إلى فراغ شاسع عديم اللون، فضاء يفصل بيني وبين الذكرى أسبح فيه، حتى وصلت إلى حاجز بُنِيَ من الأعين. لكزته، فتمايل. لكمته، فانطلقت عيونه في كل ناحية.

٥

في ليلة ممطرة، كلها رعد وزعابيب، وُلِدت في عيادة خاصة، بوجه أزرق والحبل السري ملفوف حول رقبتي. كانت الحياة معجزة. الدنيا جميلة جدًّا، والعصافير غنَّت على الشجر في جذل، والكل أحبني بلا مجهود،

وما من صديقة لماما إلا وحجزتني لبنتها، من كُتر ما أنا عسول وقمر، وامتلأت صفحات كراستي بالنجوم والـ *EXCELLENT*.

ثم، في يوم وأنا في غرفتي ألعب بالمكعبات، سمعتهما يتشاجران. وصلني صوتهما عبر الطُّرقة: مين محمد سامي اللي إنت بتكتب له الرسايل الرقيقة دي كلها وبتقول له وحشتيني؟ لم أعتد الصوت العالي ولا المواجهات في بيت سعيد كبيتنا، فأرهفت السمع: صديق عمل. فاحتدَّ صوتها: إزاي بعد كل السنين اللي مستحملاك فيها دي تديني ضهرك وتسمح لحد إنه ينيمك على بطنك؟ آخرتها تخونِّي مع راجل؟ كسر شيئًا: أنا محدش يقدر ينيمني على بطني.

~

انتقلت مع ماما إلى بيت خالتي الرحب، في مدينة أخرى، في محافظة أكبر.

لم يكن لي أصدقاء سوى سامية بنت الشغالة. تعاهدنا على الزواج وعلى ألا نفترق أبدًا، وبالمكعبات، التي جلبتها معي من البيت الذي لم يعد سعيدًا، شيدنا عش الزوجية. قبل النوم بساعة، كان الكبار يتركوننا نشاهد الكارتون ريثما نشرب اللبن ونأكل سندوتشات الجبنة الرومي واللانشون والحلاوة الطحينية. وعندما بكيت على وفاة شخصية مرسومة، انهمر المطر لأجلي.

وفي الأوقات المناسبة، عندما ينشغل الجميع، كنا نستكشف إمكانات أخرى لجسدينا، لم يخبرنا عنها أحد، مستطعمًا بكفي ملمس يدها المعدني.

بعدما كبرت، عرفت. حدثت مضاعفات في ولادة سامية أدت إلى بتر أطرافها الأربعة بعدما قذفتها أمها إلى الحياة. أرسل الأب استغاثة إلى الإعلامي «صوت الغلابة»، الذي -بدوره- نقل الاستغاثة إلى المسؤولين عبر برنامجه المذاع على الهواء. لبَّت الدولة النداء. زرعوا أقطابًا كهربية في دماغها تنقل من خلالها أوامر الحركة إلى أطراف الروبوتات. برمجوا الذراعين والساقين، وخيطوها بالجدعات الأربعة. وُلِدت من جديد، سامية .. الإنس-آلية.

~

وفي مرة، عدت إلى البيت مبضونًا من تنمُّر العيال عليَّ بالمدرسة، لأن الخبر وصلهم أني تربية نسوان. دخلت على ماما المطبخ ووجهي مُترَّب وملابسي مطينة: مامي، إنتي ليه اتجوزتي دادي؟ كانت مشغولة بالمواعين، لم تنظر إليَّ: علشان الرجالة بتتجوز الستات، دي سُنة الحياة. فكررت: مامي أنا بسألك، **إنتي ليه اتجوزتي دادي؟** مسحت يديها في المريلة، أطرقت في البلاط قبل أن تنقل عينيها إليَّ: علشان ...

~

بعدها بسنين، هلاقي نفسي واقف في طُرقة أرضيتها خشب وعلى الجنبين اتجاورت الأبواب، ومحتار: أفتح أنهي باب؟ في الآخر، اخترت واحد لونه أبيض اتدقَّ فيه مكعب رخام مكتوب عليه: «تعالى وبُص». دخلت وبصيت، فلقيت أبويا قاعد على كرسي الفوتيه بتاعه، ومخبي وشه بين إيديه، بس الدموع كانت عمالة تتسرب بين صوابعه، وما قدرش يخبي العين التالتة على جبهته اللي عمالة تدمَّع كأنها بتمطَّر. قلقت عليه وسألته: بابا .. حصل إيه؟ فردَّ وهو بيتشحتف: أنا بكره نفسي.

الموقف كان كله تقيل على قلبي، فخرجت ورجعت الطُّرقة تاني، ودعيت ربنا يعينِّي على المصاب والتوهة اللي أنا فيها، لأن الحيرة رجعت تاني: أفتح أنهي باب؟

قامت إيد شادَّاني لأوضة تانية، واقف في نصها حصان أبيض وبيشع نور يعمي البصر، وبيقول: ما تخافش، إنت مش لوحدك، بُص على الحيطة. ولما بصيت على الحيطة، لقيت متعلق عليها استيكر بيقول: «اخرمني هنا». صهل الحصان وناولني شنيور، خرمت المكان اللي حددته اليافطة، وحطيت عيني عليها علشان أشوف.

كنا جالسَين حول طاولة فورمايكا خضراء، أرسم اسكيتشات بألوان مائية، وسامية تُحسِّن خطها، معيدة كتابة الجملة نفسها على طول الصفحة ذات الأسطر

التسعة: «نحافظ على الأزهار ونضع القمامة في صندوق القمامة». توقفت وسألتني: تحب تيجي تقابله معايا؟ لم يكن في البيت أي إشارات للحياة ذلك اليوم، كل الأجهزة مطفأة، ولا حركة. تحمست لعزومتها.

بوابة الانتقال كانت جحرًا محفورًا في أرضية غرفة التخزين. قلت لها: بس دا صغير أوي، هنخش فيه إزاي؟ قالت لي: بالتسمية. قلنا «بسم الله الرحمن الرحيم» في نفس واحد، فغدونا بحجم عقلة إصبع. أخذت يدي وقفزنا.

سقطنا في مساحة مبلطة ببلاط رقعة الشطرنج. كان الدبدوب، الذي أخذتني لأتعرف عليه، جالسًا إلى طاولة خشبية مستطيلة. قدمتني له، لكنه لم يعرني اهتمامًا. دعاها إلى الجلوس أمامه، وتركني واقفًا أشاهدهما في ضوء الشمس المتسرب من زجاج النوافذ. صب لها كوبًا من الحليب، ثم فرد لوح السلم والتعبان. قال لها: هنتراهن على إيه النهارده؟ ردَّت: مش فارقة طالما كدا كدا بتخسر.

كانت قريبة جدًّا من الفوز، لكن الثعبان عند المربع الثامن والتسعين سحبها إلى نقطة البداية. سبقها الدبدوب البني وخسرت. قالت مغتاظة: مش همشي غير لما نلعب دور تاني. رد: أوكيه. قبل أن يفلت الزهر من يده، ويتدحرج على الأرض. وطِّي هاتيه.

قامت وانحنت لتجلبه. قفز الدبدوب من على مجلسه والتصق بردفها. هو إيه اللي بيحصل دا يا دبدوبي؟ حاولت أن تنفصل بهزات متلاحقة من جسدها، إلا أنه بدا كأنه ثُبِّت عليها بغراء. بدأت مقاومتها تعنف، ورأيت شيئًا أسطوانيًّا يتمدد من حجره، يحاول أن يخترقها من خلف فستانها.

تصلبت في مكاني، مراقبًا عيني الدبدوب الزجاجيتين تنقلبان من الأسود إلى الأحمر.

~

سمعت صوتا من بعد البعيد يلهث: *you can do it, baby.*

~

عادت الغرفة تتراكم من حولي، النطرة في البوكسر، عضلات بطني تتشنج، بين أصابعي دبق، واستعدت شعوري بجلد الليزي بوي. ذبلت الشهوة، وجفَّ التستوستيرون، ولم يتبقَّ لي سوى ألم ينبض في البروستاتا. اقتربت الملكة دانا من الكاميرا، كادت تقول شيئًا قبل أن أنهي المكالمة.

تحت الدُّش، اغتسلت جيدًا بماء بارد. خرجت أرتجف قليلًا والماء يتقطر مني. عاريًا، رميت نفسي على السرير، ونمت.

حلمت بكائن لحمه رمادي وسميك، توزعت على أنحاء بدنه نتوءات وردية. كان نائمًا في الوضع الجنيني بزاوية الغرفة مُصدِّرًا لي طيزه. انقلب على جنبه الآخر. يداه بين فخذيه، عيناه بيضاويتان. ظهرت شرائط رفيعة من اللعاب تربط شفتيه لما فتح فمه وقال: أبوس إيدك ارحمني. صوته كشوكة تعبر على ظهر حلة استانليس. من شق في جسمه، أخرج خنجرين، وخزق عينيه.

بعدها بساعتين، استيقظت على حموضة معدتي.

٦

صهل الحصان: ما تخافش، إنت مش لوحدك.

~

حسابي الدولاري نفد، ومرتب الشهر الجديد تأخر. اكتمل الحصار لما وصلتني رسالة من البنك: «يُرجى العلم أن بطاقتك الائتمانية بلغت حدها الأقصى للتعاملات الدولية .. تُطبَّق الشروط.»

عدت -مضطرًّا- إلى مقاطع البورن المجانية، في محاولات عدة للتفاعل معها، انتهت كلها بالارتخاء والفشل، حتى ڤيديوهات «تعليمات جلد عميرة» لم تنفع. عاد شبح البضان، وطفت المشاعر، من جديد، على السطح.

~

فرَّغت أحزاني في بكائيات طويلة على تطبيق للدعم النفسي والفضفضة. حظيت بمئات القلوب والأحضان الافتراضية وتعليقات المساندة. كتب لي واحد من الأنُّونز: افتكر دايمًا إن مفيش أزمة روحية بتعالجها المادة. نصحني أنُّون آخر: مريت بحاجة شبه اللي إنت مريت بيها، ولما جربت أتمشى كل حاجة بقت زي الفل. كتبت: لكني خايف من الغدر. رد: بس هم لو جامدين أوي كدا كانوا عرفوا يوصلوا لك طول الفترة دي، مهما كان بابك مقفول بكل ترابيس العالم. حاول تتخيل إن خطيبها ما يعرفش حاجة، أو إن فضة لسه في حياتك. فكَّر في كل السيناريوهات الأسوأ اللي كانت ممكن تحصل. فكَّر في الطفو، في الامتنان. فكَّر فيها بمبدأ المكسب والخسارة، إيه أسوأ حاجة ممكن تخسرها في الحالة دي؟ حياتك؟ تمن تافه أوي قصاد تمشية لساعة بجد.

~

بعد ساعات العمل، لم أُضيِّع ما تبقى من طاقتي في الڤيديو سكس، رغم وصول المرتب، ولا في الرياضة، بل خرجت للتمشية، مستمعًا لنصيحة الأنُّون.

لم أجد أي أثر للجرافيتي على الجدار بجوار البوابة. حِرت: دهنوا الحيطة ولا كل دا كان حلم في خيالي؟ لم أجد البواب ليجيبني على تساؤلي.

~

سألت جوجل عن الوسيلة الأنسب كي أعرف أني لست مراقبًا، فردَّت عليَّ الأسيستانت بصوتها الاصطناعي أن آخذ أول شارع يميني أربع مرات، في النهاية سأجدني عدت إلى نقطة البداية: «كرِّرها مرتين وإن لم تجد الشخص نفسه خلفك فتأكد أنك في السليم.»

جرَّبت، فاطمأن قلبي.

~

الشارع الرئيسي عامر بالناس. الساعة الثامنة مساءً، والأنوار عالية. مسحت ببصري اللافتات، وسمعي يلتقط نتفًا من أحاديث العابرين. اصطدمت بأسرة ربها يرتدي فانلة رياضية وشورت، تتكون من طفل تعلم المشي لتوه، ورضيع تدفعه أمه الحامل في عربة.

~

فكرت في عقل بالي: ليه مش أنا؟

~

في كافيه زجاجي اختبأ خلف الأشجار، جلست أشرب القهوة في ركن المدخنين. استرقت السمع لأحاديث البنات حولي عن الموضة، وأسعار السلع الاستفزازية، ونمَّاتهن. ضحكاتهن في أذنيَّ مسرسعة. شعرت أني عدت طفلًا في السادسة: الفتيات يتحدثن، في وجودي، على راحتهن، وأنا جالس على حِجر واحدة منهن، تحبرش سرًّا في بتاعي النونو.

طرطرت في الحوض، لأن ذلك ما يفعله الرجال. أخذت صورة في المرآة ورفعتها كحالة جديدة على سناب شات.

~

عدت أسير، لا مرئيًّا بين الزحام. أجس الأرض، وأنا بوجهتي جاهل، كأن قدراتي كلها انحصرت في المشي، كميت حي، كمسرنم.

~

بالتدريج، شعرت بقدمي تنفصل عن إرادتي، وتقودني بنفسها. انتظمت أنفاسي، وزال الخوف من الأعداء. مع كل زفرة، تلاشت فكرة. لا شيء سيغير عالمي، والحب الحقيقي يأتي من الداخل. تقبلت نفسي كما هي، وسامحتها على أخطائها. أدركت هدفي، وتوصلت إلى معنى حياتي، لكني نسيته الآن.

ثم انفتحت عيناي، فلم أعرف أين أنا. كنت على طريق سفر انقسمت إلى اتجاهين، وبينهما قضيب قطار. لم أُفزَع، من يخشى التوهان في عصر خرائط جوجل؟

أخرجت موبايلي وفتحت الداتا، لأكتشف أني في منطقة بلا شبكة.

~

انتظرت عبور شخص أو سيارة على الطريق المهجورة،

والعرق يتصبب مني في الجو المشبع بالرطوبة، حتى ظهرت سيارة تُمناية تقترب مسرعة وتُقلِّب لي النور. توقفت أمامي. كدت أقترب لأسأل السائق عن وجهته، عندما فُتِح الباب الجرار. خرج أربعة: آدمي برأس كبش، ومخلوقان من النور يحملان على كتفيهما الكائن المستريح على العرش.

في نورهما، تأملت ملامح الكائن: وجهه مخروطي كقمع، عنده عين وحيدة محفورة، بلا جفن، فمه مُثلَّث، ذراعه وساقه قُطِعتا من خلاف، على جبهته زبيبة صلاة مضيئة كمنارة، لكن الضوء المنطلق منها لم يتحرك في شعاع، بل رسم هالة حول وجه الكائن.

كانت ذرات الغبار تحوم حوله، عندما قال: اتأخرنا عليك، مش كدا؟

~

هل هم من الشلَّة ولا إيه وضعهم بالظبط؟ هل تبعوني طوال ذلك الوقت؟ هل خذلني الأنُّون؟ برمج مخي واستدرجني لغاية هنا؟

~

محاولًا طمر الرهبة عبثًا، قلت: إنتو مين؟!

رد: ما تقلقش إحنا مش منهم، إنت متوصي عليك.

كانت عيناي ترتعشان. أردَف: الكرة الأرضية الفترة الجاية هتبقى في الحضيض، وإنت سعيد الحظ لأنك مش هتبقى مضطر تعاني.

سألت: إنتو تبع عمي؟

نظر بعضهم إلى بعض، وضحكوا على نكتة تشاركوها، كسرٍّ في بئر، لن أعرفها أبدًا.

نظر الكائن إلى أعلى: بيقولوا إن القمر في القوس، والدنيا خربانة فوق.

وجَّهت بصري صوب السماء فلم أرَ الخراب ولا القمر، لم أرَ سوى النجوم المنتثرة على الصفحة المعتمة، لكن من كسوفي قلت: عندك حق.

أبقيت عيني هناك. فجأة، أبصرت ألعابًا نارية تفرقع، تزيد وتنتشر، لم أستطع تحديد مصدر انطلاقها، لكنها كانت تتحرك مُخلِّفة ذيولًا تكاثفت حتى شكَّلت قبة تغطينا، وشرعت السماء تصب أنوارًا بنفسجية وحمراء ووردية علينا. رأيت النجوم عيونًا ترتج، تهتز من مكانها، وتتراكم بعضها فوق بعض. تبيَّنت، بعد بحث، القمر المفلوق نصفين، نصف في الشرق، والآخر في الغرب. وتحتي، شعرت بالأرض تموج، توشك على الانفجار.

قال: أنا عارف إنت بتفكر في إيه دلوقت. بس إيه اللي هيتبقى لك هنا علشان تفضل؟

فكرت في عقل بالي: فعلًا، أسافر بعيد لحور العين، مع أنهار العسل .. التمشية في الجناين.

دوَّى الرعد يُسبِّح، وصوت المطر على الأرض كأنها تتساقط على سطح من الصاج.

انجلت الحيرة، لما قال الوحش رابعهم، ذو رأس الكبش: تعالى وجرَّب.

~

فتحت قميصي، وجَّه الكائن مسدسه الليزر ناحية صدري، وفتح مستطيلًا يحيط بقلبي. شممت رائحة شياط. مخلوقا النور تركا العرش مُعلَّقًا في الهواء. واحد منهما نزع قلبي بعتلة، والآخر أخذه منه، ووضعه في كفة ميزان يحملها الآدمي ذو رأس الكبش. كان الفؤاد مشقوقًا ولا يزال ينبض. ولا قطرة دم سالت.

~

قال الكائن: كل الأسئلة اللي عندك هتتجاوب لما توصل هناك. إنت اسمك إيه؟

فأخبرته باسمي الحقيقي: يعقوب. رد: أنا ببباركك، اسمك من اللحظة دي بقى نجم. سألته: وإنت اسمك

إيه؟ رد رافعًا حاجبه الوحيد: وإنت ليه عايز تعرف اسمي؟

~

بعدما نزعا قلبي، وقفا خلفي، ولم أعطِ خوانة. واحد منهما أمسك ذراعيَّ، فشُلَّت حركتي ولم أستطع المقاومة. الآخر غمَّى عينيَّ، وصفَّد يديَّ. صحت: ليه كدا طيب؟ فقال الكائن: إحنا آسفين جدًّا على كل حاجة يا فندم، بس هي دي التعليمات.

~

دفعاني إلى داخل العربة. انزلق الباب الجرار. سمعت المفتاح يدور في الكونتاكت، ثم شعرت بالسيارة تتحرك إلى الأمام.

الحياة المزدوجة لراعي البقر

الحياة المزدوجة لراعي البقر

فضَّلت دومًا ألعاب العالم المفتوح، وهي ألعاب مُصمَّمة لتستطيع التجول فيها بحرية، وكل قرار تتخذه يؤثر على مجرى الشخصية التي تحاكيها. نادرًا ما تقابل الـ*loading screens* السوداء، الفاصلة بين كل مرحلة وأخرى، فالزمن فيها ليس خطيًّا، بل أنت من تصنعه، وترتب مهماتك كما يحلو لك.

حياة كاملة تنتظرك من وراء الشاشة.

إحدى أفضل الحيوات التي عشتها كانت حياة راعي البقر. شربت ويسكي القرن البائد في الحانات الخشبية، وسطوت مع شلَّتي على البنوك، وقطعنا الطرق.

عندما انتهيت من القصة الرئيسية للعبة، قررت أني سأتجول في فضاء عالمها لبعض الوقت. بحثت في الخريطة، ووجدت مساحة ذهبية كبيرة فارغة وبلا معالم، بعيدًا عن المركز الرئيسي للأحداث.

نويت أن أهزم اللعبة.

ركبت حصاني، وتوجهت إلى الجنوب، نحو الأرض الشاسعة التي لم تُكتشَف بعد، متتبعًا قضبان القطارات،

عبر أنفاق مهجورة، حتى وصلت إلى الصحراء.

وفكرت أن تلك القارة ربما تكون إحدى الكنوز التي أخفاها المطورون، وأن من خلفها كثيرًا من المهمات السرية، ولكن البلدات كلها كانت مهجورة بلا حياة، فقد ضُرِبت بالحمى القرمزية ثم التيفوس، ثم أتت الكوليرا وقضت عليها.

ماذا سيفعل قاطع طرق مثلي وسط مبانٍ ميتة؟

رحلت وتوغلت وسط القفر، غير شاعر بالعالم إلا عندما تدخل عليَّ أمي لتخبرني أن أبتعد قليلًا عن الشاشة خوفًا على صحة بصري.

في ذلك الصيف، في خارج حجرتي كطفل الآن، لا كراعٍ وحيد للبقر، كان المنزل يتفكك، وفي الداخل، كنت منفصلًا.

مللت القتل والعنف. وعندما كنت أخترق بلا قصد إحدى الملكيات ويخرج عليَّ رجل ببندقية، كنت أقايضه ببعض حاجاتي مقابل حياتي.

وحين يأتي الليل، كنت أخيم مشعلًا الحطب، رابطًا حصاني في حجر. أُخرِج ما معي من رصاصات وأحفر بالسكين على رأسها حرف الـX، حتى تكون أكثر فاعلية لقنص الحيوانات التي أتغذى عليها.

أحسست بالاتصال مع ذلك الشعور المخيم بالوحدة منذ أن انفصلت عن شلَّتي من قطَّاع الطرق، بعيدًا في الجنوب، حيث لا أحد ليُقتَل، أسفل الشهب المسافرة لرجم الشياطين.

حتى وقتها لم أكن أعي إلى أي درجة أنا وحيد. احتاج الأمر إلى لعبة كلَّف إنتاجها -وقتها- ثلاثمئة مليون دولار، دافعًا لشخصية، ابتُكِرت في الأساس كي تعيش أجواء العنف والصخب في أواخر القرن التاسع عشر، للابتعاد عن كل ما يجعل حياتها مثيرة للاهتمام، والهجرة نحو كل الكآبة التي أسقطتها عليه من حياتي كطفل يعاني من القلق الاجتماعي.

هكذا، تجاوزت فترة انفصال أبي وأمي، باللعب.

~

ولكني لم أعد ألعب كثيرًا. أفكر وأنا جالس في المقهى أُشيِّش. أمضغ الذكرى وأزفرها مع دخان السلوم في أسى.

قديمًا، كان الزمن يُتصوَّر بوصفه شريطًا، ممتدًّا من الناحيتين، دون بداية ولا نهاية. فشلت في التقدم إلى الأمام، فتقدمت إلى الوراء. أبحث فلا أجد لي ماضيًا ليتمدد، فآخذتُ أحفر وأنخور، مُشكِّلًا ماضيَّ لنفسي.

أثر ذلك بان عليَّ حينما بدأ الجميع يُعبِّر عن قلقه تجاهي، سواء بإصابتي بالاكتئاب أم كوني لا أتواصل مع

أحد بالشكل الكافي أم كنعتي بالـborderline، في واقع يؤطرني فيه كل من حولي بالمصطلحات.

تجاهلت، واستكملت، ولم أفلح.

أخذت القرار. خرجت من المقهى عائدًا إلى المنزل. أخذت الـXbox المهجور لسنين، ووضعته في صندوق. أعطيته لماما وقلت: الجهاز دا ما عُدتش بستخدمه، شحَّتيه مع الهدوم الشتوي، أكيد فيه حد ممكن يتبسط بيه.

عدت إلى غرفتي، وأخذت الشريط من الدرج، وضعته في جيبي، وطلعت إلى السطح.

أخرجت شريط الذكريات، دلقت عليه السبرتو، وولَّعت.

~

لسبب نسيته الآن، عدت في مرة إلى المنزل مغتاظًا. مارست ساعتها هوايتي في لكم الحائط. انفتح ثقب صغير فيه، وتقشرت قبضتي.

دخلت ماما بعدها وأشارت إلى الثقب وتساءلت: إيه دا؟!

جاوبت مبتسمًا: دا عمايل إيديَّا.

يومًا وراء يوم، أخذ الثقب في الاتساع. لم يكن أنا من لاحظ، بل أخواي. لا يأتيان سوى مرة كل عدة أشهر للزيارة، فأُتِيحَت لهما فرصة تبيُّن الفارق.

حتى وجدت أن الثقب الصغير تحول إلى دائرة مجوفة. وتساءلت: كيف لا يزال الحائط متماسكًا؟ ولماذا لم ينهدم البيت بعد؟

استيقظت عدة ليالٍ، متخيلًا أني أرى شخصًا يحاول العبور من ثقب حجرتي. أفتح النور فتتلاشى الرؤية.

مللت الأمر، فسألت ماما عن سبب توسعة الثقب على ذلك النحو: ماما، هو دا طبيعي؟

أجابت: آه، الحاجات دي بتسرح.

في مرة، حظيت بنوبة عصبية صغيرة، وأنا جالس على حرف السرير، مُخبِّئًا وجهي بين يديَّ مقابلًا الحائط.

رفعت عينيَّ، ومن بين ثنايا بصري المُغبَّش، وجدت جدي، الذي عرفته من الصور، يشع بالنور من الثقب، وقد تدلى من فمه البايب الذي قتله، حسب الرواية التي رُدِّدت على مسامعي كثيرًا من قِبل العائلة، مخرجًا دخانًا ثقيلًا شكَّل شبورة كثيفة في المكان.

كانت رئتاه منفوختين كبالون، أي لا يستطيع تفريغ ما بهما من هواء، دون قفص صدري يحميهما.

مد إليَّ يده، وسلمت له يدي، فشدني إلى الداخل خالعًا كتفي.

سرت وراءه في طُرقة طويلة وضيقة، والمرايا تحيط بنا من اليمين واليسار، حتى قابلنا في نهايتها راعي البقر يجلس أمام نار الحطب ويحفر في طلقاته.

التفتُّ خلفي، فلم أجد الطُّرقة التي أتيت منها، ثم عدت إلى الأمام لأجد جدي قد اختفى.

نظر إليَّ راعي البقر من أعلى كتفه، بصق البلغم خابطًا على صدره، واستكمل نحت حروف الـX.

ألف شكر

إبراهيم ناجي ~ أحمد ناجي
زينة الحلبي ~ عبد الرحمن علاء.

مي المغربي ~ هديل غنيم
ياسر عبد اللطيف ~ وزيز.

مشروع التخرج

الأوض الورّانية	٧
وداع الأوجه	١٩
أشباح فريس	٤٣
مشروع التخرج	٧١
يوم نحس مستمر	٩١
ما قاله الحائط	١١١
الحياة المزدوجة لراعي البقر	١٤٥